

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

د. عجميه السيد محمد برايه

مدرس الدراسات الإسلامية بقسم اللغة العربية

كلية الآداب - جامعة حلوان

مقدمة

أحمد الله رب العالمين، و أصلي و أسلم على سيدنا و مولانا محمد النبي الأمي الأمين ،
و على آله و صحبه، و آبائه و إخوانه من الأنبياء و المرسلين، و بعد .

أنزل الله آدم ﷺ إلى الأرض ودينه معه ، و اعتباراً لسنة الاختلاف بين البشر التي أقام
الله الكون عليها كان ضرورياً أن يأتي من يجدد الدين للأجيال المتعاقبة التي تغير
بعض الدين أو كله . و ضرورة تجديد الدين نابعةً من ضرورة الدين نفسه للإنسان،
و القرآن الكريم يبين كيف أرسل الله ﷺ الرسل تترأ ؛ ليجددوا ما اندرس بين الناس من
الدين ، و يعالجوا المعاييب و الآفات التي طرأت على المجتمع الإنساني في قرونٍ متطاولة
. ولأن الله ﷺ جعل الإسلام خاتمة الأديان و محمداً ﷺ خاتم النبيين ، فقد جعل في هذا
الدين عوامل بقاءه ، و جاءت الدعوة للتجديد من داخل الدين نفسه بوصفها ضرورةً من
ضرورات الدين الإسلامي كما يظهر في القرآن و السنة و الروح المستلهمة منهما .

و الظاهر أن الجهل بدعوة التجديد التي خرجت من جعبة الإسلام أو إنكارها ، أدى إلى
ظهور من ينادي بتحديث الخطاب الديني و تغييره، يعنون أن الدين عليه أن يتوافق مع
مستحدثات العصر و معطياته ؛ لأن أساليبه الحالية لم تعد ملائمة، و رتبوا على ذلك
وجود أزمة مدعاة في المعرفة الدينية نفسها ، و من ثم ضرورة تنقيتها من بعض ما
تشتمل عليه من مبادئ و مصادر و آليات.

و بهذا نكون أمام فريقين، كلٌ منهما يتبنى التجديد، مما يدفع لدراسة الموضوع ،
فالاهتمام بما يخرج على ساحة الثقافة الإسلامية من دعواتٍ مختلفة الرؤى يرُدُّ بعضها
على بعضٍ؛ ينظر فيها البعض لدينه بعين الثقة و الرضا، يرى فيه النموذج الأعلى و كلمة

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

الله الأخيرة لأهل الأرض، بينما ينظر بعض آخر إليه بعين الشاك المتردد الذي يرى فيه من المناقص ما لا يجد لها رداً، و نفوس العامة حيرى بين هؤلاء وأولئك و التقى هذا الاهتمام بما وجدته مكنوزاً في كتب تراثنا من دعوة الدين للتجديد وبشارة الرسول ﷺ بذلك وتنبؤه به ، فإذا الدين لم يفته مثل هذه الدعوة التي يدعي البعض في هذا العصر افتقاد الدين لها وضرورة إحداثها فيه .

و على ذلك ، تهدف الدراسة إلى بيان ماهية التجديد كما أوضحه علماء الإسلام قديماً و حديثاً و أسبابه ونتائجه ، و بيان التجديد المزيف الذي يدعي البعض حاجة الإسلام إليه و أسباب هذه الدعوى و نتائجها و ليس بخافٍ أن التعرض لدراسة مثل هذا الموضوع يبلغ من الصعوبة مبلغاً ؛ فهناك حيرةٌ بالغة تنتاب البعض عند تردد البصر و السمع بين كتب الفريقين و أقوالهم ، فكلٌّ منهما مقالٌ يشعر أن الحق معه دون غيره ؛ لاسيما في تلك الآونة ذات الفتن التي تلبس الباطل لباس الحق ، وتلبس الحق لباس الباطل وعن الدراسات السابقة ، فالموضوع مطروق بكثرة يدلي برأيه فيه الكثير سواءً أكان من المتخصصين أم أدعياء التنوير ، و قد وقعت يدي على بعض الدراسات و الكتب التي تعرضت له ، منها :

- مفهوم تجديد الدين ، د. بسطامي محمد سعيد .
- تجديد الدين مفهومه و ضوابطه و آثاره ، د. سلوى بنت محمد المحمادي .
- تجديد الخطاب الديني ، محمد بن شاكر الشريف .
- التجديد بين الإسلام و العصرانيين الجدد، و هي رسالة ماجستير للباحث أنس محمد جمال حسن أبو الهنود .
- تجديد الدين لدى الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر، للدكتور أحمد بن محمد اللهيبي .
- مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي ، للدكتور صبري محمد خليل .

و الدراسة التي أقوم بها ، تهتم بتعرف التجديد الحقيقي الذي أودعه الله في الإسلام بوصفه سبباً من أسباب البقاء و الحماية ؛ لأنه الدين الخاتم الذي لا دين بعده ، في مقابل تجديد مزيف يدعو له البعض ويطلب تحقيقه ؛ و لذا جعلت العنوان " دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير ، تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً "

و المنهج الذي يقوم عليه البحث منهج وصفي تحليلي مقارن، و أقترح للدراسة أن تقوم على ثلاثة مباحث و خاتمة

المبحث الأول : في تعريف التجديد و أدلته و الألفاظ المتداخلة معه .

المبحث الثاني: الأسباب الداعية للتجديد و ضوابطه .

المبحث الثالث : نتائج العمل على التجديد " صور منه قديماً و حديثاً "

والله أسأل القبول و التوفيق و السداد. و الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

تعريف التجديد و أدلته و الألفاظ المتقاربة معه

أولاً : التعريف

أ- التجديد في اللغة

أصل التجديد في اللغة من القطع ، "جَدَّ الشيء يَجِدُّه جَدًّا: قطعهُ ، وحبَل جَدِيد: مقطوع...وَمُلْحَفَةٌ جَدِيدٌ وَجَدِيدَةٌ: حين جَدَّها الحائك: أي قطعها"¹ لحياتها ، من هنا جاء معنى الجِدَّة ؛ فالثوب يكون جديداً زاهياً عند قطعه للحياكة واللبس أول مرة ؛ ولذا قيل : "والجِدَّة بالكسر : ضدُّ البلى قال أبو عليٍّ وغيره : جَدَّ الثوبُ والشيءُ يَجِدُّ بالكسر فهو جَدِيدٌ والجمع أَجْدَةٌ وَجُدُّ وَجُدَّدٌ . وَأَجَدَّهُ أي الثوبُ وَجَدَّدَهُ واستَجَدَّهُ : صَيَّرَهُ أو لَبَسَهُ جَدِيداً فَتَجَدَّدَ " .² و هكذا " سمي كل شيء لم تأت عليه الأيام جديداً ، فالجديدان و الأجدان هما الليل و النهار ؛ لأنهما لا يبيليان "³ ، كأنهما يجدان بتعاقبهما على الدوام .

1 المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ، بتصريف بسيط ، ج7 ص186 .

2 تاج العروس للزبيدي ج7 ص478

3 مفهوم تجديد الدين ، بسطامي سعيد ، ص13 .

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

ثم انتقل المعنى بعد ذلك في غير ما يَقْبَلُ القَطْعَ ليكون على المثل ، أي من قبيل المجاز ، قال الأزهرى : 4 " والعرب تقول هذا طريق جَدَد إذا كان مستويًا لا حَدَب فيه ولاوُعُوثة" وقيل : " جَدَدَ الوضوء والعهد"⁵ وفي معجم لغة الفقهاء : " التجديد من جدد الشيء إذا صيره جديدًا ، و هو إعادة الشيء بعد فترة ، ومنه: تجديد الوضوء " . 6

ب- التجديد في الاصطلاح .

لم يرد التجديد – صراحة – في القرآن و لكن ورد فيه من ألفاظه ما يتفق مع مفهومه اللغوي السابق ، فيشير إلى عملية التجديد نفسها ؛ إذ تكرر في القرآن إنكار الكافرين الحياة بعد الموت ، و عبروا عنه في عدة آياتٍ بـ " الخلق الجديد ، مثل قوله ﷺ : {وَقَالُوا أَنبَاءُ كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَلَا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا}⁷ وقوله ﷺ : {وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبْ قَوْلُهُمْ أَنبَاءُ كُنَّا تُرَابًا أَنبَاءُ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ }⁸ ، و قوله ﷺ : {وَقَالُوا أَنبَاءُ ضَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ أَنبَاءُ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ}⁹ ، و قوله ﷺ : {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُبْنِكُمْ إِذَا مَرَّكُمْ كُلٌّ مِمَّنْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ}¹⁰ ، و قوله ﷺ : {أَفَعَيَّبْنَا بِالْأَخْلُقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ}¹¹

الآيات الكريمة تشير إلى إنكارهم البعث مرة أخرى بعد الموت ، مستعملين أساليب الخبر والإنشاء ، و قد أعطى المفسرون " خلق جديد " معنى يرجعه إلى التجديد، فالمعنى في الآية : " أنكم تستبعدون أن يجدد الله خلقكم ، ويردّه إلى حال الحياة وإلى رطوبة الحيّ وعضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة ، مع أنّ العظام بعض أجزاء الحي ، بل هي عمود خلقه الذي يبني عليه ، فليس بيدع أن يردّها الله بقدرته إلى حالتها الأولى...

4 تهذيب اللغة للأزهري ج10 ص247 .

5 لسان العرب لابن منظور ج3 ص111 .

6 معجم لغة الفقهاء محمد رواس قلجعي - حامد صادق قنبيي ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط الثانية 1408 هـ -

1988 م (ص: 121)

7 سورة الإسراء ، الآية رقم 49 .

8 سورة الرعد الآية رقم 5 .

9 سورة السجدة ، الآية رقم 10 .

10 سورة سبأ ، الآية رقم 7 .

11 سورة ق ، الآية رقم 15 .

" 12 و الاستفهام فيها إنكاري ، و كذا في آية السجدة ، فالمعنى هل " إنا لفي هذه الحالة نعاد ويجدد خلقنا " 13 . و في سورة سبأ يتحدثون عن النبي ﷺ الذي شاع أمره حينئذ ؛ لأنه " يحدثكم بأعجب الأعاجيب ، إنكم تنشؤون خلقاً جديداً بعد أن تمزق أجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير تراباً " 14

و قد يشير معنى الآية إلى القائم بهذه العملية ، كما جاء في قوله ﷺ : **{إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ}** فسياق الآية الكريمة في بيان غناه ﷺ و افتقار الناس إليه ، فجاءت الآية تبين " إِنْ كَانَ يَتَوَكَّفُ مَتَوَكِّفًا أَنْ هَذَا الْمَلِكُ لَهُ كَمَالٌ وَعَظْمَةٌ فَلَوْ أَذْهَبَهُ لَزَالَ مُلْكُهُ وَعَظْمَتُهُ فَهُوَ قَادِرٌ بِأَنْ يَخْلُقَ خَلْقًا جَدِيدًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا وَأَجْمَلَ وَأَتَمَّ وَأَكْمَلَ " 16 ، كما أشاروا إلى معنى الجدة في هذا الخلق ، يقول الطبري: " ويأت بخلق سواكم يطيعونه ويأتمرون لأمره وينتهون عمّا نهاهم عنه " 17 ، والآية بذلك قريبة من معنى الاستبدال في قوله ﷺ : **{وَأَنْ تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ}** فالمعنى " وَإِنْ تَتَوَلَّوْا عَنْ طَاعَتِهِ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ أَطْوَعَ لَهُ مِنْكُمْ ، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ بَلْ خَيْرًا مِنْكُمْ " 19 .

و قد أشار العلماء إلى معنى الاستبدال في حديث الأبدال²⁰ الذي روي بطرق عدة، منها رواية أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ لَنْ تَخْلُوَ الْأَرْضُ مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ حَلِيلِ الرَّحْمَنِ ، فَبِهِمْ يُسْقَوْنَ وَبِهِمْ يُنْصَرُونَ ، مَا مَاتَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَبْدَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ آخَرَ ﴾ 21 ، و الحديث يدور في معنى استمرار الخيرية في أمة سيدنا محمد ﷺ ، و قريب منه حديث رسول الله ﷺ في التجديد الذي يعد عمدة في بابهِ ؛ لصراحتهِ في البشارة

12 تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (671 / 2)

13 تفسير ابن عطية 4 / 360 .

14 تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (4 / 242)

15 سورة فاطر ، الآية رقم 16 ، كما وردت جزءاً من آية في سورة إبراهيم ، الآية رقم 19 ، و قريب منهما في النساء الآية

رقم 133 ، و الأنعام الآية رقم 133 .

16 تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (26 / 230)

17 تفسير الطبري ج 20 / ص 454 .

18 سورة محمد ، الآية رقم 38 .

19 زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (4 / 123)

20 أشار إليه السيوطي في الدر المنثور ج 1 ص 765 : 768 .

21 المعجم الأوسط للطبراني ، (4 / 247)

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

بالتجديد ، و الذي رُوِيَ بطرقٍ عدة عن أبي هريرة رضي الله عنه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةٍ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا ﴾²²

و كأنه تفسير للآيتين السابقتين ، فبالإشارة إلى استبدال الطائع بالعاصي ، إلماح إلى معنى تجديد أمر الدين ، بتجديد أتباعه ؛ ولذا عندما أورد المفسرون الأقوال في المقصود من " قومًا " في الآية ، ذكروا منها قول مجاهد : " من يشاء من جميع الناس " ²³ و هذا القول يعطي الاستبدال و التجديد بعدًا واتساعاً .

و على نورٍ مما جاء في القرآن و السنة ، اهتم سلف الأمة بالتجديد ، فبينوا معناه و عرفوه تعريفات متقاربة ، فبينوا أنه "إِحْيَاءُ مَا أُنْدَرَسَ مِنَ الْعَمَلِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْأَمْرِ بِمُقْتَضَاهُمَا ، وإماتة ما ظهر من البدع والمحدثات " .²⁴ و قال بعضهم : هو تجديد " ما اندرس من أحكام الشريعة و ما ذهب من معالم السنن و خفي من العلوم الدينية الظاهرة و الباطنة " .²⁵

كما اهتم علماء العصر الحديث بتعريف التجديد ، عرفه د. عبد العزيز الأمين باعتبار ما أضيف إليه فتجديد العقيدة "يعني العودة بالأمة إلى ما كان عليه السلف الصالح من الاعتقاد الصحيح الموافق للكتاب و السنة و فهمهما على منهج السلف الصالح . و تجديد الشريعة و الفقه يعني إحياء الحركة العلمية المبنية على الاستدلال و الاستنباط من الكتاب و السنة وفق قواعد الاستدلال عند الأئمة الأربعة و غيرهم ممن جاء بعدهم من أئمة الهدى، و السير على منهجهم و طريقتهم دون التعصب لمذهب من المذاهب المتبعة و غيرها " ²⁶ .

و هذا التعريف يدعم الرأي القائل بأن التجديد قد يكون على يد أكثر من مجددٍ على رأس القرن ؛ إذ كلُّ يجدد في مجال اجتهاده . و من خلال ما سبق يتبين أن التجديد – إجمالاً -

²² سنن أبي داود ج 12 ص 413

²³ زاد المسير في علم التفسير (4/ 124)

²⁴ عون المعبود و حاشية ابن القيم للعظيم أبادي (11/ 263)

²⁵ فيض القدير للمناوي (1/ 10)

²⁶ مجالات التجديد في الدين عرض و نقد ، د. عبد العزيز الأمين .

يعمل على إعادة بهاء الدين و نضارته " و إحياء ما اندرس من سننه ومعالمه ونشره بين الناس، بإحياء الفرائض المعطلة و إزالة ما علق بهذا الدين من الآراء الضالة والمفهومات المنحرفة ، وتخليص العقيدة من الإضافات البشرية لتفهم بالبساطة التي فهمها سلف هذه الأمة ، و إحياء الحركة العلمية في مجال النظر والاستدلال ، والعمل على صياغة حياة المسلمين صياغة إسلامية شرعية " . 27

ثانياً : جهود العلماء في هذا الصدد .

الملاحظ أن السلف لم يهتموا بالتجديد نظرياً فقط ، بل عرضوا لما يتصل به من جانب عملي ؛ فكانوا يستشرفون لظهور المجدد على رأس كل قرن ، كما اهتموا ببيان أسماء المجددين - الذين يعرفونهم بغلبة الظن بضوابط و قرائن عدة - وتعيين المجالات التي جددوا فيها ، كما أكثروا من بيان الضوابط والتنبيهات التي تفيد في هذا الشأن ، فابن حجر نبه على أن بعض الأئمة حمل من في الحديث الشريف على أكثر من واحد ، يقول : 28 " لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ فِي رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ وَاحِدٌ فَقَطُ ... وَهُوَ مُتَّجَةٌ 29 فَإِنَّ اجْتِمَاعَ الصِّفَاتِ الْمُحْتَاجِ إِلَى تَجْدِيدِهَا لَا يَنْحَصِرُ فِي نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ وَلَا يَلْزَمُ أَنْ جَمِيعَ خِصَالِ الْخَيْرِ كُلِّهَا فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ " . و لذلك نجد قائمة المجددين في كل قرن تشتمل على مجموعة من العلماء في مجالات عدة . و يعتبر السيوطي من أشهر من اجتهد في هذا الصدد ؛ فصنف أرجوزةً ، أسماها تحفة المهتدين بأخبار المجددين أثبت فيها من اتفق عليهم من مجددي الأمة حتى قرنه ، فعد منهم عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى ، و الشافعي على رأس الثانية و ابن سريج على رأس الثالثة 30 حتى وصل إلى القرن العاشر الهجري، و أورد في أرجوزته ذكر عيسى عليه السلام بوصفه آخر مجددي الأمة عندما ينزل آخر الزمان .

27 مجلة البيان ، الموسوعة الشاملة ، www.islampport.com

28 فتح الباري لابن حجر (13 / 295)

29 أي رأي راجح و متوجه إليه لعلة مقبولة .

30 انظر عون المعبود ج 11 ص 265 .

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

و قد كانت تحفة السيوطي بداية لم يتوقف عندها علماء الأمة ، بل ظلت قضية التجديد موجودة متناقلة بين علماء الأمة ، " فجاء من أراد تكملة هذا البيان إلى القرن الرابع عشر الهجري ، فأكمل منظومة السيوطي نظماً بأسماء المجددين فيما بعد عصر السيوطي ، وشرح منظومة السيوطي ، كما شرح منظومته المكمل ، وسمى هذين بغية المقتدين و منحة المجددين على تحفة المهتدين " ³¹ إنه الشيخ محمد حامد المراغي الذي أشار إليه الشيخ أمين الخولي و هو يكمل - بدوره - الصورة التاريخية للتجديد والمجددين في كتابه المجددون في الإسلام .

ثالثاً : المصطلحات المتقاربة مع التجديد .

وضع الله ﷺ في هذا الدين عوامل بقائه إلى قيام الساعة ، و الملاحظ توائم نظرة العلماء للتجديد و كذا مضمونه مع كل عصر بما يؤكد كون الإسلام الدين الخاتم الصالح للزمان كله . و على أثر ذلك وجدنا العلماء يستعملون ألفاظاً عدة تقترب أو تتقاطع مع لفظ التجديد الوارد في حديث رسول الله ﷺ .

قديمًا : استعمل الفقهاء مصطلح الاجتهاد و جعلوه أصلاً من أصول الفقه الإسلامي ، خاصةً فيما يتعلق بفقه النوازل . و في العصر الحديث ، استعمل العلماء مصطلح الإصلاح و التحسين و النهضة والأصالة ... وغيرها التي نطلع عليها في هذا المرجع أو ذاك من المراجع المهمة بقضايا التجديد .

استعملها الأستاذ الإمام محمد عبده ؛ إذ تطالعنا كثيرًا في أعماله الكاملة ، كلمات مثل النهضة والإصلاح وأخذها عنه تلميذه رشيد رضا ، كما استعمل عبد الحميد الزهراوي³² لفظ التحسين و هو يتكلم عن آليات التجديد كالاجتهاد وغيره . و المتأمل يجد أن كثيرًا من علماء الإسلام و مفكريه كانوا مشغولين بالتجديد ومدركين له ، فكانت دعوتهم

³¹ المجددون في الإسلام ، أمين الخولي ، ص 7 .

³² هو عبد الحميد بن محمد شاکر بن إبراهيم الزهراوي، من زعماء النهضة السياسية في سوريا ومفكر وصحفي وأحد شهداء العرب في ديوان عالية العرفي ، عرف بنشاطه السياسي و الصحفي في عهد آخر سلاطين الدولة العثمانية ، و قبض عليه عدة مرات ، و في آخرها حكم عليه في ديوان عالية العرفي بالموت. نفذ به الحكم شنقاً في دمشق في 6 أيار 1916 / 1334هـ ، فنعاه الكثير ، منهم السيد محمد رشيد رضا في مجلة المنار .

للتجديد حالاً كاملاً يكتنفهم ، لا لفظاً يستعمل فقط ، و ذلك منذ أدركه ابن خلدون حين عرض لأطوار الدولة و تحولها من البداوة إلى الحضارة ، باعتبار هذا التحول نوع من التجديد في حال الأمة .

و هذا الأمر يلفت إلى الجدلية المستمرة بين الثابت و المتغير في الإسلام، فهي غير مقتصرة على رأس القرن، بل كانت دائمة التحرك مع حركة الحياة، كأنها دورة تأخذ في السير حتى تكتمل ، فتبلغ ذروتها

و تؤتي ثمارها على رأس القرن، و ما تلبث أن تبدأ دورة من جديد ... و هكذا ، حتى تصبح جزءاً من تاريخ الأمة ككل ؛ لذا نلاحظ أن كثيراً منهم ينظر للتاريخ الإسلامي – بجميع قرونه - نظرة عامة ، ويشير إلى أنه تكتنفه أربعة مراحل ثقافية :

- " مرحلة التنوير الديني و بناء الحضارة .
- مرحلة التوقف الحضاري و التوازن .
- مرحلة اختلال التوازن و الانحطاط .
- مرحلة اليقظة و النهوض "33

و نلاحظ التجديد ظاهرة تغلب على المرحلتين الأولى و الأخيرة ، فهناك مرحلة كاملة شملت القرون الأربعة الأولى ، تعد مرحلة تنوير ديني و بناء للحضارة ، و هناك مرحلة اليقظة و النهوض تتبع مرحلة الانحطاط الحضاري للمسلمين التي شملت عدة قرون من القرن السادس حتى نهاية القرن الثامن الهجري . و هذا يضع أيدينا على أمور :

الأول: أن التجديد المقصود على رأس القرن تجديد حال الدين و أهله بالعودة إلى المنبع الصافي ، أما المرحلة التاريخية ، فتشمل أحوال المسلمين جميعها في الدين و الدنيا .

الثاني : أن الرسول ﷺ يحث الأمة على تدارك الأمور قرناً فقرناً ، حتى لا تتراكم السلبات تراكماً يجعل الإصلاح معضلة تستلزم قروناً ، كما هو حالنا اليوم . و إذا أردنا التوفيق بين حديث رسول الله ﷺ ، وبين النظرة السابقة ، نلاحظ أن الرسول ﷺ يؤكد أنها

33 أسس التقدم عند مفكري الإسلام ، د فهمي جدعان ، ص13 .

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

على رأس كل قرن ، و هذا يعني أن كل قرن تكتنفه من الأحداث ما يجعل التجديد (الانتباه للتصحيح) ضرورة مع رأسه . أما تلك النظرة الأنفة الذكر، فهي نظرة كلية لمجمل التاريخ ، تعبر عن تراكمات القرون التي جعلت حالةً من الحالات الأربع السابقة تغلب على جزءٍ من التاريخ الإسلامي دون غيرها من الحالات ، دون أن تنفرد بالوجود بل قد تظهر معها إحدى الحالات الأخرى أو بعضها. و هذا ما يصدقه واقع أمتنا من القديم إلى الحديث .

المبحث الثاني: الأسباب الداعية للتجديد و ضوابطه

يمكننا أن نضع أيدينا على مجموعةٍ من العوامل و الأسباب و الإمكانيات التي تجعل التجديد أمراً منطقياً أو قل ضرورياً في حالة دين كالإسلام ، بعضها داخلي و بعضها خارجي ، و بعضها يعد من ضوابط التجديد في الوقت نفسه ، نبينها فيما يلي :

أولاً: الأسباب الداخلية

أ- الإسلام هو الدين الخاتم .

ختم الله ﷺ الرسالات السماوية بالإسلام ، و لم يجعل نبياً بعد نبيه ﷺ ، و هذا يوضح أول أسباب التجديد في الدين ، فهو آخر إرسال السماء لهدي الأرض كما كان يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله . و لما ختمت الرسالات بالإسلام ، جاء منذ يومه الأول بالجديد ، جدد العقيدة بالتوحيد بعد الشرك ، و جدد العمل فوجهه للخير و الإصلاح ، بعد أن كان موجهاً للشر و الإفساد ، وجاء بالوسطية و الاعتدال بعد تطرف أهل الأرض في وجوه شتى . و هذا يعني أن الإسلام جعل التجديد سنةً من سننه ، و حياة المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ تؤكد ، فإذا وضعنا نصب أعيننا مبدأ الاجتهاد إضافةً إلى ما يستجد من أحداث و ظروف على الساحة الإسلامية ، تبين لنا أن المسلمين اجتهدوا في كافة المجالات ؛ ليواكبوا الحياة الجديدة وفق ما يناسب الشرع و لا يبتعد عنه و لا يحد ، و كانت الأسباب المساعدة على التجديد تواتيهم في كل عصر . و نظرةً في العلوم الإسلامية تبين ذلك . فقد بدأ مع تقعيد العلوم في القرنين الثاني و الثالث الهجريين نوع

د. عجميه السيد محمد براهيم

من التجديد ، و في علم الفقه كان ظهور المذاهب الفقهية المتعددة نوعاً من التجديد ، كما مرَّ علم الفقه "بأطوارٍ متعددة ، و كانت له أدوارٌ كثيرة ، و قد يكون أكثر العلوم الإسلامية حركةً عبر التاريخ ؛ ذلك لأن المطلوب منه أن يواكب تغير الزمن و يقدم حلولاً لكل ما يستجد من حياة الناس، و قد توجه المسلمون إلى إمعان النظر في مصادر التشريع ، فاستخرجوا ما تتطلبه الساحة عبر العصور من الأحكام تجاه مختلف القضايا " 34 حتى استنبطوا - حالياً- من أصولهم الشرعية **الفقه الحضاري** 35 . هذا كله نوعٌ من التجديد و في علم الحديث كانت تلك المواكبة بين الرواية و الدراية نوعاً من التجديد ، استدعت ظهورها ظاهرة الوضع و الكذب على رسول الله ﷺ . و في علم التفسير كان استقلاله عن علم الحديث نوعاً من التجديد ، تتابع على أثره ظهور أنواع التفسير المتعددة التي لم يتوقف ظهورها حتى الآن و التجديد في هذه العلوم وفي غيرها لم يتوقف حتى الآن ؛ هذا كله نابغٌ من خاتمية هذا الدين للرسالات السماوية ، فهو مستمرٌ إلى قيام الساعة .

ب- الإسلام دين عالمي .

و قد نطق بذلك صريح القرآن الكريم و السنة الصحيحة. يقول الحق ﷻ : 36 **{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}** و يقول : 37 **{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}** و في السنة يقول الرسول ﷺ : 38 **{والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة}**

34 المؤلفات التراثية في فقه البيئية و الكون و الإنسان ، أ د عبد السلام وجيه .

35 هو تخصص من تخصصات الفقه الإسلامي أو فرع من فروع ، يهتم ببيان موقف الدين من حضارة العصر ، بكل من تعنيه من مستجدات على مختلف الأصعدة . و هو بذلك يقوم بدوره ، كما يقوم بدوره غيره من تخصصات الفقه الإسلامي مثله في ذلك مثل الفقه المدني " فقه المعاملات " . و الفقه الجنائي " فقه الحدود " و الفقه الدستوري " فقه السياسة الشرعية " . و عليه ، فإذا كانت الحضارة تتمثل في كل تقدم و رقي يصل إليه الإنسان في مختلف مجالات الحياة ، فالفقه الحضاري للإسلام هو فهم ما فيه و العمل به ، على نحو يصل به الإنسان إلى هذا التقدم و الرقي في كل زمان و مكان .

36 سورة الفرقان ، الآية رقم 1 .

37 سورة الأعراف ، الآية رقم 158 .

38 رواه أحمد في المسند 66/2، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد 302/8 وقال رواه أحمد ورجاله ثقات.

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

و كذا قوله ﷺ فيما تميز به عن سائر الأنبياء ﷺ : 39 ﴿... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة﴾ .

وقد جاءت النداءات الموجهة إلى الناس جميعاً متكررة في القرآن في ثمانية عشر موضعاً من القرآن الكريم كما أن رسول الله ﷺ لم يقتصر في دعوته على العرب ، بل بدأ توسيع نطاق دعوته و الخروج من النمط الإقليمي بالرسول الذين أرسلهم إلى كسرى و قيصر و النجاشي و المقوقس ، و غيرهم من الملوك و زعماء القبائل ، فأعطى للصحابة بعده إشارة البدء التي خرجوا على ضوئها لفتح البلاد و الأمصار و هداية أهلها إلى الإسلام ، الدين السماوي الخاتم .

ج- مصادر التشريع .

وسواءً أكانت هذه المصادر أصلية أم فرعية ، فالمصادر الأصلية تتمثل في الوحي الشريف قرآناً و سنة

• القرآن .

و القرآن معجزة الإسلام الأولى ، تكفل الله ﷻ بحفظه إلى قيام الساعة ، و ما هذا إلا لعطاءاته المتجددة في كل عصر . و بادئ ذي بدء ، فالقرآن الكريم يبين أن الحق ﷻ بعث أنبياءه ﷺ ؛ لتحقيق مبدأ التجديد ، فقد تابع الحق ﷻ في إرسال الرسل، و جعل لكل قوم نبياً أو رسولاً يعالج معائبهم و آفاتهم ، وكان تجديد الأنبياء ﷺ إحياء ما درس بين الناس من التوحيد و عبادة الله و تخلص العباد من الشرك و ضلالاته و سلبياته الاجتماعية و الاقتصادية و الإنسانية ، عن طريق تنكيرهم بتلك الكلمة التي تجددت على لسان كل نبيٍّ لقومه : { يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ }⁴⁰

كما يتضمن القرآن مجموعة من المبادئ تفضي إلى ضرورة التجديد ، فالقرآن الكريم بما فيه من " مناشدة للعقل و للتجربة على الدوام و إصراره على أن النظر في الكون و

³⁹ صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول الله جل ذكره إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده، رقم 328، 128/1، وروى قريباً منه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم 521، 370/1.

⁴⁰ سورة الأعراف ، وردت في الآيات رقم 59 ، 65 ، 73 ، 85 .

الوقوف على أخبار الأولين من مصادر المعرفة الإنسانية ، يعد أول من أوقف روح التجربة " 41 و لا عجب بعد ذلك أن يبتدع المسلمون المنهج التجريبي ؛ لتشبعهم بما في القرآن من آياتٍ تحث على النظر و التأمل والتفكر و التدبر . و الكثير من المستشرقين اعترف بأن الغرب أخذ هذا المنهج عن المسلمين . و الملاحظ أن هذا المنهج له دورٌ رئيس في حمل الحياة على التشكل بصورةٍ جديدة ، وليس أدل على ذلك مما شهده العالم منذ بدايات العصر الحديث من طفرات علمية أثرت في مختلف المجالات ، و يؤكد على دور القرآن ، ما ظهر في العصر الراهن من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ؛ إذ يصدق العلم القرآن و لا يتناقض معه في مبدأ علمي ولا حقيقة علمية ثابتة .

• السنة

و سنة رسول الله ﷺ قام جانبٌ كبيرٌ منها على بناء الأخلاقيات السليمة في المجالات كافة دينية و دنيوية ، "فإذا نظرنا إلى الأمر من هذه الزاوية وجدنا أن نبي الإسلام ﷺ يبدو أنه يقوم بين العالم القديم و العالم الحديث ، فهو من العالم القديم باعتبار مصدر رسالته ، و من العالم الحديث باعتبار الروح التي انطوت عليها "42 هذه الرسالة .

و المتأمل في السنة يجدها مصدرًا للمعرفة و الحضارة، ندرك ذلك بالاطلاع في كتب الحديث المبوبة، إذ اشتملت على كتبٍ و أبواب تدل على ذلك أوردها أصحاب الصحاح و السنن ، منها كتاب العلم ، جعله الإمام البخاري الكتاب الثاني عقب كتاب الإيمان ؛ للدلالة على أهميته . و جعله غيره من أئمة الحديث في مواضع أخرى من كتب الصحيح و السنن و المسانيد ، يجمعون فيه ما قال رسول الله ﷺ في العلم وجوبه و فضله و ثوابه و نفعه في الدنيا و الآخرة . إلى غير ذلك من الأخلاقيات والآداب و المبادئ و الحقوق التي تهتم بها منظمات و مؤسسات حقوقية ، فإذا السنة سبقت إلى الاهتمام بها .

بل إن الإخبار بتجديد الدين جاء صريحًا في قول رسول الله ﷺ في حديث التجديد ، وهذا الإخبار يتضمن أمرًا أو دعوة ضمنية إلى التجديد .

41 تجديد التفكير الديني ، محمد إقبال .

42 تجديد التفكير الديني ، محمد إقبال .

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

و كذلك لا يمكن أن نغفل هذا الكم من السنة النبوية التي عرضت للفتن و الملاحم و أشرط الساعة ، فقد كانت و ما زالت نعم الدال والمرشد للمسلمين في كل عصر من العصور التالية لعصر النبوة ، و ليس أدل على ذلك من اهتمام العلماء بها منذ القديم و حتى العصر الراهن ، لتساعدهم في تشخيص المآزق التي تحيق بالأمة و أسبابها ، و السبيل إلى الخروج منها .

أما المصادر الفرعية المستنبطة من القرآن و السنة ، فيأتي على رأسها الاجتهاد .

• الاجتهاد .

جعله بعض أعلام الفقهاء قرين القياس ، كالإمام الشافعي الذي اعتبر للقياس مقدمتين " إحداهما : الاجتهاد والثانية : الاستنباط "43 و الملاحظ أن فهم المسلم لثوابت الدين و متغيراته ، ومصادره و مكوناته الذي يتفاوت من وقتٍ لآخر و عمله المترتب على هذا الفهم و مدى التزامه بما يمليه عليه الدين ، يترتب عليه الحاجة لتجديد الدين فهماً وعملاً و التزاماً . و هذا لب الاجتهاد و ما يقوم عليه . و بدا تظهر الصلة بين الاجتهاد و التجديد . والاجتهاد أصل من أصول الفقه، باعتباره المنهج العلمي في دراسة الشريعة . عرفه الأصوليون بأنه " استفرغ الوسع في طلب الظن بشيءٍ من الأحكام الشرعية على وجهٍ يحس من النفس العجز عن المزيد فيه " .44 و عرفوه بأنه " بذل الطاقة من الفقيه في تحصيل حكمٍ شرعيّ ظني "45 ؛ ولذا سمي بالاجتهاد الشرعي ؛ لأن موضوعه الشريعة .

و قد وسع الإمام الرازي دائرة الاجتهاد حين عرفه بقوله " استفرغ الوسع في النظر فيما لا يلحقه فيه لوم "46 فالرازي بذلك و إن كان يقصد إلى استفرغ الوسع في مسائل

43 الحاوي الكبير في فقه الإمام للشافعي ؛ لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، ص 118 ، دار الكتب العلمية ، ط 1419 - 1999 .

44 " الأحكام في أصول الأحكام للأمدي (4/ 162)

45 آليات الاجتهاد ، د علي جمعة ، ص 8 .

46 المحصول للرازي (6/ 6)

الفروع الفقهية، لم ينفِ الاجتهاد في غيرها إذ يشير إلى مبدأ الاجتهاد نفسه ، سواءً أكان في " الشرعيات أو اللغويات أو العقليات ... الخ " 47 .

و بهذا كان الاجتهاد دليلاً من الأدلة التفصيلية التي يعتمد عليها العلماء ، و التي عرفت منذ عهد الرسول ﷺ ، ولسنا بصدد حصر أدلته في القرآن و السنة ، بل نذكر بعضها ، ففي القرآن يقول الله ﷻ : 48 ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ يقول الزمخشري في تلك الآية : إن " رسول الله ﷺ كان إذا بعث بعثاً- بعد غزوة تبوك وبعد ما أنزل في المتخلفين من الآيات الشداد- استبق المؤمنون عن آخرهم إلى النفير وانقطعوا جميعاً عن استماع الوحي و التفقه في الدين ، فأمرُوا أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة إلى الجهاد ويبقى أعقابهم يتفقهون ، حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الأكبر، لأن الجدل بالحجة أعظم أثراً من الجلال بالسيف " . 49

و التفقه هو أول باب الاجتهاد ؛ و لذا ارتضاه الرسول ﷺ ، عندما قال : ﴿ إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أخطأَ فَلَهُ أَجْرٌ ﴾ 50 . كما ثبت عن معاذ بن جبل ؓ أنه ﷺ عندما بعثه إلى اليمن ، قال له : ﴿ كَيْفَ تَقْضِي إِنْ عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ قَالَ : أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ قَالَ : فَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ قَالَ : أَقْضِي بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : فَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَجْتَهُدُ رَأْيِي لَا أَلُو قَالَ : فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ ﴾ 51

الجدير بالذكر أن الأمة تحتاج الاجتهاد في مجالات الحياة كلها ؛ لذا عده الفقهاء من فروع الكفايات . يستعرض الإسنوي الرأي فيه ، فيقول في شرحه للامدي : 52 " وأما فرض الكفاية فهو الذي يتناول بعضاً غير معين كالجهاد ... و لك أن تقول هذا يشكل

47 آليات الاجتهاد ، د علي جمعة ، ص 7 .

48 سورة التوبة ، الآية رقم 122 .

49 تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (2/ 323)

50 صحيح البخاري (9/ 108)

51 مسند أبي داود الطيالسي (1/ 454 ، 455 .

52 نهاية السؤل شرح منهاج الوصول (ص: 44)

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

بالاجتهاد فإنه من فروض الكفاية ولا إثم في تركه ، وإلا لزم تأييم أهل الدنيا
واقضاء كلام الأمدي : أنه يتعلق بالجميع ولكن يسقط بفعل البعض " .

و تتأكد أهمية الاجتهاد ، بإدراك دوره في تطور الفقه من عصرٍ لعصرٍ للتجاوب مع
التغيرات والمستجدات ؛ لاسيما إذا وضعنا نصب أعيننا أمرين : 53

الأول : ظنية النصوص ، حيث تحتمل كثير من النصوص أكثر من وجه ، و هذه حكمة
الله ﷺ ؛ حيث جعل المسائل الفرعية محل نظرٍ و اجتهاد ؛ توسعةً على الأمة ، و هو
أمر لازمٌ مع ختم الرسالة من جهةٍ و مع عالميتها من ناحيةٍ أخرى

الثاني : أن النصوص محصورة ، و الوقائع و الحوادث غير محصورة . قال الإمام
الجويني : 54 " القياس مناط الاجتهاد وأصل الرأي ومنه يتشعب الفقه وأساليب الشريعة
وهو المفضي إلى الاستقلال بتفاصيل أحكام الوقائع مع انتفاء الغاية والنهاية ، فإن
نصوص الكتاب والسنة محصورة مقصورة ومواقع الإجماع معدودة مأثورة فما ينقل
منهما تواترا فهو المستند إلى القطع وهو معوز قليل وما ينقله الأحاد عن علماء
الأعصار ينزل منزلة أخبار الأحاد وهي على الجملة متناهية ونحن نعلم قطعا أن الوقائع
التي يتوقع وقوعها لا نهاية لها " ؛ و لذا عده كثير من علماء المسلمين في العصر
الراهن ، من فروض الوقت – أي المرحلة التاريخية التي تمر بها الأمة –

التأويلات .

و نقصد بها التفسيرات الخاصة بالفرق الإسلامية المتعددة ، فالقرآن الكريم جاء بالمحجة
البيضاء التي اتضح معها الطريق ، و بسبب عوامل و ظروف اجتماعية و ثقافية و
سياسية كثيرة أعقبت وفاة الرسول ﷺ والفتوحات الإسلامية 55 ، ظهرت الفرق الإسلامية
التي تعددت آراءؤها و عقائدها ، وتعلقت جميعها بالقرآن لتتعلق منه بسبب وصلة ،

53 آليات الاجتهاد ، د علي جمعة ، ص9 ، 10 .

54 البرهان في أصول الفقه للإمام الجويني ج2 ص3 .

55 و على رأس هذه العوامل ، الاختلاف فيمن يخلف رسول الله ﷺ ، و دخول كثير من الأعاجم في دين الله أفواجا ، فأخذوا
خبرة الإسلام فوق ما تراكم من خبراتٍ سابقةٍ لديهم من عقائدهم و ثقافتهم السابقة .

د. عجميه السيد محمد براهيم

فامتدت أيديهم للقرآن ، فمنهم من أخذ بحقه ، ومنهم من فرط فيه ، ومنهم من أفرط ، فظهرت التأويلات المختلفة الخاصة بكل فرقة . 56

و مجالات الاختلاف في الإسلام متعددة ، فهناك الاختلاف في الفقه و الاختلاف في التفسير و الاختلاف في الإمامة الكبرى ، و الاختلاف في الاعتقاد⁵⁷ و تكمن المشكلة في الأخيرين ، لاسيما إذا وضعنا في الاعتبار أن بعض الفرق احتدت في تأويلاتها حولهما حتى اعتبرتها الإسلام ، و اعتبرتها فرضًا وضرورة في الدين ، من ترك اعتقادها كافر ، مثل الخوارج و المعتزلة و الشيعة وغيرهم الذين عانت الأمة قديمًا و حديثًا من بعض أفكارهم .

و على الرغم من أن بعض الفرق كانت معتدلة، فجعلت أفكارها خاصة بها لا تفرضها على غيرها ، مثل الصوفية ، إلا أن انتشارها في الشعوب ، أدى إلى انتشار بعض أفكارها التي لا تعدم جوانب سلبية . و من هنا كانت ضرورة التجديد، فهذه التأويلات أدخلت على العقائد و الفكر كثيرًا من الدخيل الذي ليس من الدين . و إذا كان القرآن الكريم قد أقر الاختلاف بين البشر ، فإنه يعني بذلك الاختلاف الفطري ، وليس الاختلاف المصطنع الذي ظهر بين عناصر الأمة و أدى إلى الفرقة . و هذا كان سببًا في ظهور المجددين الذين يدفعون عن الإسلام و يردون إلى جادة الصواب فيه .

هـ- الفتن التي تعرض للأمة من مرحلةٍ لأخرى . " البدع و التأخر و الجمود "

عند تأمل حديث رسول الله ﷺ الخاص بموضوع البحث ، نلاحظ أنه ﷺ ربط التجديد برأس كل قرن ، و قد تدبر بعض العلماء في علة ذلك من القديم للحديث ، فبين بعضهم أن المقصد من تجديد الدين "إحياء ما اندرس فيها من العمل بالكتاب و السنة ... و إماتة البدع و المحدثات " 58

56 مثل الخوارج و الشيعة و المعتزلة و المتصوفة و أهل السنة الخ
57 أسماء الله و صفاته و غيرها من الغيبيات التي اتخذها علم الكلام الإسلامي موضوعًا له .

58 عون المعبود و حاشية ابن القيم للعظيم أبيادي (263 /11)

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

و هذا القول يذكر بقوله ﷺ : " يَرِثُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ , يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ , وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ , وَتَحْرِيفَ الْعَالِينَ " . 59

يشير الشيخ أمين الخولي إلى اهتمام العلماء بذلك فيقول : إنهم " حين يعلنون التجديد على رءوس القرون يردونه إلى اعتبار اجتماعي من أحداث الحياة في هذه المدد ، و يروون في ذلك أثر أن رأس كل مائة يكون عندها أمر و يفهمون من ذلك الأثر أن المحن الاجتماعية تقتضي التجديد ؛ جبراً لما حصل من الوهن بالمحن ... و يعدون محن الظلم السياسي والاجتماعي على رءوس المنين ، فيذكرون الحجاج وفتنة خلق القرآن و خروج القرامطة وأفاعيل الحاكم بأمر الله ، و استيلاء الفرنج على كثير من البلاد الشامية ، و من بينها بيت المقدس ... الخ ، و يعدون على رأس كل قرنٍ محنة " . 60

و الخولي يشير إلى تطاول العهود على الأمة ، و ما يحدث خلاله من الفتن و المحن التي لم تتوقف منذ وفاته ﷺ حتى الآن ، مما تعم به البلوى الأمة كلها ، و ما ذكره الخولي من الفتن ليس إلا نماذج مما عانت منه الأمة ، فالحملات الصليبية ليست إلا مرحلة من مراحل طمع الغرب في العالم الإسلامي ؛ إذ تبعتها في العصر الحديث ظاهرة الاستعمار الذي استحل بلاد المسلمين لنفسه ، و كذلك مرت على الإسلام والمسلمين الكثير من المحن و الفتن التي أخبر بها رسول الله ﷺ ، و التي تؤدي إلى ظهور الانحراف عن الجادة ، مما يستدعي ظهور العلماء الذين يردون الناس " عن انحرافهم إلى الصراط المستقيم كتاب الله و سنة رسوله ﷺ ، فسمي ذلك تجديداً للأمة ، لا بالنسبة للدين الذي شرعه الله و أكمله ، فإن التغيير والضعف و الانحراف إنما يطرأ مرة بعد مرة على الأمة ، أما الإسلام فمحفوظ بحفظ كتاب الله ﷺ و سنة رسوله ﷺ الميينة له " 61 ، وذلك تصديق قوله ﷺ : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » 62 و أن لهما 63 عطاءات

59 السنن الكبرى للبيهقي (10 / 354) ، رقم 20911 .

60 المجددون في الإسلام للشيخ أمين الخولي ، بتصرف بسيط ، ص15 ، دار المعرفة - القاهرة ، ط 1 - 1965 .

61 موقع الإسلام سؤال و جواب ، 15 / 5 / 2019 . <https://islamqa.info/ar/answers/153535>

62 سورة الحجر ، الآية رقم 9 .

63 أي القرآن الكريم ، و السنة الصحيحة .

متجددة مع كل عصر ، يواجه بها العلماء ما تموج به الساحة من دعوات الإلحاد و الكفر و ما الإعجاز العلمي في القرآن و السنة إلا عطاء من تلك العطاءات التي لم تتوقف .

و- الانهزامية و التبعية عند بعض الأمة .

و الانهزامية النفسية و العملية آفة دبت في الأمة بعد الصدمة الحضارية التي تعرضت لها عند تعرفها الغرب في العصر الحديث ، مع أول مواجهةٍ حديثة في الاستعمار . و رأى البعض أنها تعني " استصغار النفس واستذلالتها وانكسارها أمام أعدائها ... و استصغار النفس واستخذاؤها أمام شدائد الدنيا وبريقها وزخارفها وزينتها وأمام بلاءات شياطين الإنس والجن " 64.

و الملاحظ أنه " عندما تملكت هذه الروح الانهزامية من المسلمين في مراحل معينة، جلبت الكثير من المتاعب، فمثلاً عندما قام التتار باجتياح العالم الإسلامي، ودخول بغداد، وقتل الخليفة العباسي - كان الجندي من التتار يسير في الشوارع بلا سلاح، فيقابل الرجل المسلم، فيقول له : ابق مكانك ولا تتحرك حتى آتي بسيف فأقتلك، فيبقى المسلم كما هو حتى يقتله التتري.

ومنها في تاريخنا المعاصر: ما أشاعه البعض بعد حرب 1967 من أن الجيش الصهيوني جيش لا يفهر، ومع أن الجيش المصري حطم تلك الخرافة في حرب السادس من أكتوبر 1973، العاشر من رمضان 1393 " . 65

و هذه الانهزامية لها أسبابها ، فبعضها سياسي و بعضها علمي ... الخ ، و كلها يصب في حالة الركود و التأخر الحضاري التي تعاني منها أمة الإسلام في مقابل حالة التقدم الحضاري التي يتلبس بها الغرب ، و إن ظاهرياً ، مما يجعل البعض يدورون في فلكه في تبعية تامة أو جزئية على أقل تقدير ، مما يجعل من ظهور المجددين ضرورة ؛ للعمل على النهوض بالأمة من اليأس الذي تغرق فيه .

64 موقع إسلام ويب ، المركز الإعلامي < دعوة وإعلام < الدعوة < دراسات في الدعوة ، 19 / 5 / 2019 - 14 / رمضان / 1440 هـ .

65 شبكة الألوكة ، مقال متعلق " الانهزامية و خطرهما على الأمة " بقلم : مجدي داود ، 15 / 12 / 2008 - 16 / 12 / 1429 هـ . <https://www.alukah.net/social/0/4356/#ixzz5oLND8GZL>

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

ثانياً : الأسباب الخارجية .

يأتي على رأسها محاولات التغيير المتوالية التي لم تتوقف يوماً ؛ للإضرار بالدين الإسلامي و محاولة تشويهه بدءاً من الإسرائيليات التي دخلت أول ما دخلت على تفسير كتاب الله ، و مروراً بظاهرة الوضع في حديث النبي ﷺ و كذا افتراءات المتعصبين من المستشرقين ؛ مما استحث العلماء للتفاعل معها ، فنجم عن ذلك تجديد الدين في العصور المختلفة . و بهذا يمكن القول : إن التجديد صفةً أصيلةً في الإسلام من جهة ، و ردة فعلٍ من جهةٍ أخرى ؛ جاءت استجابةً لمحاولاتٍ عديدة لتشويه الإسلام ، بعضها عسكري و بعضها فكري ، أثر كلاهما بدرجاتٍ متفاوتة .

فقد عانت الأمة من الاحتلال العسكري ، و من أبشعه تلك الهجمة التنزيرية على بغداد و دول آسيا الوسطى المسلمة في القرن السابع ، و التي سجل المؤرخون عليها قتل الملايين من المسلمين و تدمير المكتبات التي تحوي فكر المسلمين و حضارتهم . و منها الحملات الصليبية التسعة المتوالية على العالم الإسلامي، حتى الاحتلال الذي اجتاح دول العالم الإسلامي بعد سقوط آخر خلافة للمسلمين ، و قد نتج عنه و تضافرت معه عدة عوامل أثرت بدرجات متفاوتة في المسلمين في الدول التي عانت منه ، ولعل معاناة بعض الشعوب الإسلامية من ضعف اللغة العربية لديهم ، ليس إلا أثراً تركه الاحتلال فيهم ، مثل ما نلاحظ في ضعف استخدام اللغة العربية في دول المغرب العربي ، بسبب الاحتلال الفرنسي الذي حرص على ربط المسلمين في هذه الدول باللغة الفرنسية ، و إبعادهم عن لغة القرآن - اللغة العربية -

و لم يكتف الغرب بمحاولاته العسكرية المتعددة لامتلاك دار الإسلام ، بل أعقب خروجه الشكلي من العالم الإسلامي محاولات من نوعٍ آخرٍ لامتلاكها ؛ قام معظم هذه المحاولات على التأثير الفكري على النخبة المفكرة في العالم الإسلامي ، فقد خرج الغرب من بلاد المسلمين بعد أن زرع فيها بذور الفكر الغربي من علمانية و استشراق و شيوعية و ليبرالية و عولمة و صراع حضارات الخ هذه الأفكار منبثة الصلة عن الإسلام و

المسلمين و التي يصعب إحصاؤها لأنها لم تتوقف من القديم للحديث ، مما جعل من التجديد ضرورة و نتيجة حتمية ؛ لاسيما في وجود الانهزامية عند البعض و الرغبة في الاستئنان بسنن الغرب في التحضر و الفكر ، و يمكن ذكر بعض الأمثلة فيما يلي .

أ- العلمانية .

كلمة العلمانية Secularism كلمة إنجليزية لها نظائرها في اللغات الأوروبية ، و قد تناولها العلماء كثيرا و عرضوا لمعناها ، و من أكثر تعريفاتها شيوعا في الشرق و الغرب تعريف جون هيولوك بأنها " فصل الدين عن الدولة " .⁶⁶

و قد أدى إلى ظهورها في الغرب عوامل عدة ، على رأسها استبدال باباوات الكنيسة الغربية الذين تحولوا إلى " طواغيت و محترفين سياسيين و مستبدين تحت ستار الإكليروس و الرهبانية و العشاء الرباني و بيع صكوك الغفران ، و كذلك و قوف الكنيسة ضد العلم و هيمنتها على الفكر و تشكيلها لمحاكم التفتيش و اتهام العلماء بالهرطقة " ⁶⁷ " ⁶⁸ ، مما أدى إلى اندلاع الثورة الفرنسية ، و ولادة أول حكومة علمانية في فرنسا تحكم باسم الشعب و تنثور على الدين نفسه بعد ثورتها على رجال الدين .

و إذا كانت العلمانية تبدو " حدثا منسجما و نتيجة طبيعية للأحداث هناك ؛ إذ كان حجم الرد بالتطرف ضد الدين ، بحجم التطرف الكنسي نفسه " ⁶⁹ ، فإنها لا تبدو كذلك في العالم الإسلامي ، فرجال الدين فيه ، ليسوا كرجال الكنيسة في الغرب بأي حالٍ من الأحوال ، و لا طبيعة الإسلام بمبادئه ، كطبيعة المسيحية التي أثر فيها نسبتهم للمسيح عليه السلام قوله " أعطوا إدا ما لقيصر لقيصر ، و ما لله لله " ⁷⁰ .

⁶⁶ العلمانية الجزئية و العلمانية الشاملة ج1 ، عبد الوهاب المسيري ، دار الشروق ، ص57 . .
⁶⁷ مثل جرادانوا الذي صنع التلسكوب ، فعذب عذابا شديدا و عمره سبعون عاما ، و سبينوزا صاحب مدرسة النقد التاريخي ، فكان مصيره الموت مسلولا
⁶⁸ الموسوعة الميبرسة في الأديان و المذاهب و الأحزاب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ص 698 .
⁶⁹ الاجتهاد و التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر ، د سعيد شبار ، ص125 ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ط 1
1437 هـ - 2016 .
⁷⁰ إنجيل متى 22 : 21 ، موقع الكتاب المقدس .

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

و على كلِّ ، فقد انتقل الفكر العلماني إلى العالم الإسلامي عبر طرق ، أهمها الاستعمار وبعثات الطلاب المتعددة منذ بدايات العصر الحديث - إلى الغرب ، و كذلك المؤسسات التبشيرية والاستشراقية . و قد ظهر أثرها فيما بعد في كثير من الأحزاب و الحركات التي ظهرت في العالم الإسلامي فيما بعد؛ للحرص على اللحاق بركب النهضة و التقدم الغربي . و الذي لا شك فيه أن الطرق الثلاثة كونت ثلاثياً أسهم بشكلٍ كبير في دخول العلمانية إلى البلاد الإسلامية ، فقد حرص الاستعمار - كما بينا سابقاً - إلى جانب استغلال خيرات البلاد على غزو المسلمين فكرياً ، فجعل لغته كالإنجليزية و الفرنسية " لغة رسمية في كثيرٍ من البلدان العربية و الإسلامية ، مما جعل شباب المسلمين يقبلون على هذه اللغة في الوقت الذي يجهلون فيه لغتهم الأصلية ، بل استطاع الاستعمار أن يحمل الشباب السذج على كراهية الإسلام و أهله بدعوة أنه دين تعصب و تأخر ، و انطلى هذا الكلام على شباب المسلمين لجهلهم حقيقته فضلوا " . 71

و لم يكن هذا هو طريقه فحسب ، بل اتجه للتعليم و الإعلام ، فأما التعليم فجانبُ منه تلك البعثات التي

انبهر خلالها أبناء الشرق بالغرب انبهاراً وصل ببعضهم إلى قناعةٍ بضرورة الاحتذاء بالنموذج الغربي

احتذاءً تاماً ، و الانخلاع مما يروونه تخلفاً و رجعية في الشرق . و جانبٌ منه داخل البلاد الإسلامية ،

حين حاولوا تهميش دور الدين في التعليم .

أما المستشرقون ، فقد قاموا " بدراساتٍ متعددة عن الإسلام و اللغة العربية و المجتمعات المسلمة ، ووظفوا خلفياتهم الثقافية و تدريبهم البحثي ؛ لدراسة الحضارة الإسلامية و التعرف على خباياها ؛ لتحقيق أغراض الغرب الاستعمارية و التنصيرية " . 72

71 العلمانية ، محمد بن يندر الرياح ، هيئة الدعوة و الإرشاد بالقصيم ، موقع بحوث الاللكتروني ، الأربعاء 29 صفر 1432 ، الموافق 02 فبراير 2011

72 الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب و الأحزاب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ص708 .

د. عجميه السيد محمد براهيم

و الكلام في هذا الأمر يتسع لمجلداتٍ، و ليس هذا مكانه ، و يكفي هنا الإشارة إلى اتجاهات العلمانيين في بلاد المسلمين ، و ذكر د. سعيد شبار أنها ظهرت في ثلاث اتجاهات في العالم الإسلامي : " اتجاهٌ يدعو إلى الانخراط الشامل في النموذج الغربي و القطيعة مع التراث ، و اتجاهٌ يدعو إلى التحديث حسب خطوات التجربة الغربية ، لكن من داخل التراث و التاريخ الإسلامي ، و اتجاهٌ يدعو إلى التجديد و النهضة من داخل التراث و بأدوات التراث أو بما يناسبها مما يمكن استعارته " 73

و هذا يشير إلى تدرج التطرف العلماني في هذه الاتجاهات ، و إن كان الملاحظ أن الاتجاهين الأول والثاني يمثلان العلمانية دون الثالث ، الذي يمثله دور رجال الإصلاح الإسلامي أو تيار الجامعة الإسلامية ، كما أطلق عليه د محمد عمارة 74 ، و على رأسهم الأفغاني و محمد عبده و الكواكبي ، فهم كما رأى د. محمد عمارة مثلوا تيار التوفيق بين تيار التغريب - الذي مثله الاستعمار و أتباعه - و تيار الجمود ، و كان القاسم المشترك بينهم على اختلاف بلادهم : 75

- رفض التغريب و الجمود كليهما .
- الانطلاق إلى تجديد الدنيا بواسطة تجديد الدين .
- السعي لتأسيس النهضة الحديثة على قواعد التمدن الإسلامي .
- التفاعل مع الحضارات الأخرى - و في مقدمتها الحضارة الغربية على النحو الذي يجعل هذا التفاعل عامل قوةٍ لذاتيتنا الحضارية المتميزة ، و ليس عامل مسخٍ و نسخٍ و سحقٍ و تشويه .

و بهذا نجد الاستعمار و توابعه من الفلسفات و الحركات الحديثة من أهم العوامل الخارجية التي انفعَل لها المصلحون من علماء الأمة ، و ساعد على ذلك خصائص

73 الاجتهاد و التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر ، د سعيد شبار ، ص126 ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ط 1 1437 هـ - 2016 .

74 معالم المنهج الإسلامي ، د محمد عمارة ، ص168 ، دار الشروق ، ط2 - 2009 .

75 الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده ، تحقيق و تقديم : د. محمد عمارة ، ص11 ، دار الشروق ، ط 1 - 1414 / 1993 .

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

الإسلام من الخاتمية و العالمية إلى جانب التأخر و الركود الذي أصاب الأمة مع بدايات العصر الحديث في كافة المجالات الثقافية .

ب- العولمة .

إذا كانت العلمانية و الاستشراق من أوائل ما ظهر من وسائل الغزو الفكري من الغرب للعالم الإسلامي ، فإن العولمة من أحدثها ، و قد أطلق عليها البعض النظام العالمي الجديد ، بعد أن عرض الرئيس الأمريكي السابق⁷⁶ لهذا النظام " بمناسبة إرساله القوات الأمريكية إلى الخليج (بعد أسبوع واحد من نشوب الأزمة في أغسطس 1990م)⁷⁷، وفي معرض حديثه عن هذا القرار، تحدّث عن فكرة: عصر جديد وحقبة للحرية ، و زمن للسلام لكل الشعوب. و بعد ذلك بأقل من شهر أشار إلى إقامة نظام عالمي جديد يكون متحرراً من الإرهاب وأكثر أمناً في طلب السلام ، عصر تستطيع فيه كل أمم العالم أن تتعم بالرخاء و تعيش في تناغم " ⁷⁸.

و بهذا يتضح أن ظهور العولمة بدأ مع الألفية الثالثة ، و قد عرض لها العديد من العلماء و المثقفين ، يرى البعض أنها تعني جعل الشئ عالمي أو دولي الانتشار في مدها و تطبيقه . يقول المفكر مالكوم واترز عنها ، إنها " كل المستجدات و التطورات التي تسعى بقصد أو بدون قصد إلى دمج سكان العالم في مجتمع عالمي واحد " . ⁷⁹

و قد اتفق مع هذا بعض مفكري العرب و المسلمين . يقول د عدنان الشخص عن العولمة: "إن العولمة هي ظاهرة الانتماء العالمي بمعناه العام ، و هي تعبير مختصر عن مفاهيم عدة ، فهي تشمل الخروج من الأطر المحدودة (الإقليمية و العنصرية و الطائفية و غيرها) إلى الانتماء العالمي الأعم ، ففي جانبها الاقتصادي تشمل الانفتاح التجاري و إلغاء القيود التجارية و توفير فرص للتبادل التجاري الواسع و في جانبها الفكري و

⁷⁶ الرئيس الأمريكي جورج بوش .

⁷⁷ حرب تحرير الكويت ، و التي أطلق عليها عسكرياً عملية درع الصحراء ، و بدأت من 2 أغسطس 1990 حتى 17 يناير 1991م ، ثم تبعها عملية عاصفة الصحراء من يناير 1991 حتى 28 فبراير 1991م .

⁷⁸ بين عالمية الإسلام و العولمة ، د صالح الرقب ، ص 6 ، 7 ، مقدم لمؤتمر التربية الأول بعنوان " التربية في فلسطين و متغيرات العصر " .

⁷⁹ موقع " ويكيبيديا الموسوعة الحرة " الإلكتروني

الثقافي هي الانفتاح الفكري على الآخر و عدم الإغلاق على الذات و رفض التعصب الفكري الذي يدعو لرفض الآخر ؛ لا لشيء سوى أنه مغاير في الفكر . و في جانبها السياسي هي شيوع تطبيق القانون على الجميع و مراعاة الحقوق الأساسية للإنسان ، فهي باختصار الشعور بالانتماء الكبير (العالمي) بدلا من الاقتصار على الانتماء المحلي " . 80

لم يتفق الجميع على هذا الأمر، بل أدرك بعض العلماء ما تنطوي عليه العولمة ، يرى د محمد بن علي العقلا⁸¹ أن للعولمة أهدافاً غير معلنة ، أخطرها " محاربة الإسلام بما ينطوي عليه من مبادئ و قيم سامية و منهج في التطبيق لا يعلو عليه أي منهج آخر ، و هو ما يتعارض مع مصالح العالم المادي الغربي الذي يساند تيار العولمة بكل ما يملك"⁸²

و سار د. محمد عابد الجابري في السياق نفسه ، فعرفها بقوله : هي " العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلداً بعينه هو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات على بلدان العالم أجمع ، وهي أيضاً أيديولوجياً تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وأمركته " . 83 ، فهي بذلك " محاولة الولايات المتحدة إعادة تشكيل العالم وفق مصالحها الاقتصادية والسياسية ، فالعولمة هي اسم للاستعمار في أشكال جديدة، وهي نوع من السيطرة الأمريكية على العالم " 84 و سواء كانت العولمة تشير إلى الكونية أو تكوين القرية العالمية ، أو تشير إلى سيادة النظام الرأسمالي و هيمنتها على العالم ، فيمكننا الترجيح بين الرأيين من خلال ما أفرزت العولمة من المصطلحات و النظريات ، و التي كان من أهمها " نظرية نهاية التاريخ التي تبناها المفكر الياباني الأصل فوكوياما، و الذي اعتبر نهاية الشيوعية و سقوط الاتحاد السوفيتي نهاية للتاريخ بانتصار

80 مجلة البمامة (العدد 1507) تحقيق عن العولمة ، ص 22 – 25 .

81 عميد كلية الشريعة بجامعة أم القرى .

82 مجلة الفرقان الكويتية (عدد 99) تحقيق عن العولمة - مجلة البمامة مرجع سابق .

83 العرب والعولمة ، الدكتور محمد عابد الجابري، ص 137 ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1998م.

84 بين عالمية الإسلام و العولمة ، د صالح الرقب ، مرجع سابق .

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

الرأسمالية، و نظرية صراع الحضارات لأستاذ العلوم السياسية الأمريكي صامويل هانتجتون الذي اعتبر نهاية الحرب الباردة ، و انتصار المعسكر الغربي على المعسكر الشرقي بداية لصراع طويل و ممتد بين الغرب النصراني و حضارته الغربية ، والشرق المسلم و حضارته الإسلامية " . 85 و الصراع الحضاري الذي أشار إليه هنتجتون هو الحجة التي يستند إليها أدعياء العولمة ؛ لوسم أي فعل لا يتفق معها بالإرهاب و التطرف، هذا من جانب ، و من جانبٍ آخر نلاحظ أن حالة الاغتراب التي يشعر بها بعض الأفراد تجاه النظام العالمي الجديد الذي يجتاح العالم الإسلامي و شعورهم بالانتماء لأوطانهم ، يسهل كل ذلك "وقوعهم في براثن الإرهاب " 86 و إن كان هذا سبباً من أسباب الصراع ؛ فإن السبب الرئيس كامن عند أدعياء العولمة ، فهي صورة جديدة من صور الحرب ضد الإسلام ، لاسيما مع تأصل الإحساس بالعداء نحو الإسلام عند الغرب إلى الحد الذي جعل بابا الفاتيكان يرى " بعد سقوط الشيوعية أن من مصلحة الكنيسة و مصلحة رجال السياسة توجيه عموم الشعب المسيحي نحو خصم جديد يخيفه به وتجنده ضده ، والإسلام هو الذي يمكن أن يقوم بهذا الدور ويقوم البابا بمغادرة مقره بمعدل أربع رحلات دولية لكسب الصراع مع الأيديولوجيات العالمية وعلى رأسها الإسلام " . 87

و هذا يستنهض علماء الأمة ؛ لمواجهة العولمة على اختلاف أنواعها ، و كذا مواجهة ما ترتب عليها من نتائج من تبعية و إرهابٍ و تطرف ؛ و يساعدهم على ذلك ما يتسم به الدين الإسلامي من عالمية الدعوة التي تقوم على الكثير من القيم التي يخص بعضها المجتمع الإسلامي و بعضها عامة يشترك فيها المجتمع البشري كله مع المجتمع الإسلامي ، منها :

85 العولمة ، د سليمان بن صالح الخراشي ، ص10 ، دار بلنسية ، ط سنة 1419 هـ .

86 الإرهاب و العولمة ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ، ط 1423 هـ - 2003م ، مجموعة بحوث ، بحث الإرهاب بين الأسباب و النتائج في عصر العولمة ، تساؤلات تبحث عن نتائج ، أ. د عبد العاطي أحمد الصياد ، ص158 .

87 الموسوعة الميسرة ، ص 683 .

الأخوة الإسلامية و الجهاد ، و كذلك العدل و الحرية و حقوق الإنسان و مكارم الأخلاق، ولذا قامت " الحضارة الإسلامية على القاسم المشترك بين حضارات العالم، فقبلت الآخر، وتفاعلت معه أخذاً و عطاءً، بل إنّ حضارة الإسلام تعاملت مع الاختلاف بين البشر باعتباره من سنن الكون، لذلك دعا الخطاب القرآني إلى اعتبار الاختلاف في الجنس والدين واللغة من عوامل التعارف بين البشر؛ اتساقاً مع نفس المبادئ . إنّ الإسلام يوحد بين البشر جميعاً رجالاً ونساءً في قضايا محددة : أصل الخلق والنشأة، والكرامة الإنسانية والحقوق الإنسانية العامة، ووحداية الإله، وحرية الاختيار وعدم الإكراه ، ووحدة القيم والمثل الإنسانية العليا " . 88

ج- الصور المزيفة للتجديد .

من أهم الأسباب الداعية للتجديد ، ظهور أصداده مع تتابع الأيام و القرون ، فالتجديد كما أن له حقيقته في الإسلام ، فإن له صوراً مزيفة مدعاة كثيرة ، ظهرت متوالية من القديم للحديث ، فالمعتزلة قديماً رفعوا راية العقل ، حتى أصبحوا منارة للعقلانية ، و هذا جيد ، و لكنهم تسفوا في استخدامه حتى أثاروا من القضايا ما يضر و لا ينفع ؛ إذ ابتدعوا قضية خلق القرآن و امتحنوا علماء الأمة بها ففتن بها من فتن الخ ، و في العصر الحديث تعددت تلك الصور المزيفة للتجديد بتعدد التيارات الفكرية و المذاهب التي عرفتها الأمة ، و انتقلت إليها من الغرب ، و على رأسها التنوير والاستشراق و العلمانية و العصرية و الحداثة و العولمة . و من أهم سمات هذه التيارات:

* أنها انتقلت من الغرب إلى الشرق على فترات زمنية متباينة ، و على الرغم من هذا التباين الزمني ؛ فإنها اجتمعت على أصولٍ ، أهمها فكرة التجديد أو التحديث أو التطور من خلال منظورهم الفكري .

* أن الآراء و المذاهب الفكرية كانت بينها علاقات تأثير و تأثر ، حتى يمكن القول إنها تشربت من بعضها البعض .

88 بين عالمية الإسلام و العولمة ، د صالح الرقب ، ص 18 .

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

* أن هذه التيارات ، و إن حققت بعض الإيجابيات ، فإنها عادت بسلبيات كثيرة على الفكر الإسلامي ؛ لاسيما مبدأ التجديد في صورته الإسلامية ؛ و لعل هذا أكبر سبباتها ؛ إذ أدت إلى خلط الأمور عند البعض بين التجديد الحقيقي و التجديد المزيف .
و نظرةً على بعضها يؤكد ذلك :

- فالاستشراق - و يعد من أقدمها - كانت له الكثير من الآراء المتشددة تجاه الإسلام بدءاً من القرآن الكريم و مروراً بالفقه الإسلامي حتى اللغة و الأدب .
فجمهور المستشرقين " ينكر أن يكون الرسول ﷺ نبياً موحى إليه من عند الله - جَلَّ شَأْنُهُ - و يتخبّطون في تفسير مظاهر الوحي التي كان يراها أصحاب النبي ﷺ أحياناً وبخاصة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، فمن المُستشرقين من يرجع ذلك إلى صرَعِ كان ينتاب النبي ﷺ حيناً بعد حين ، و منهم من يرجعه إلى تخيلات كانت تملأ ذهن النبي ﷺ ، و منهم من يُفسِّرُها بمرض نفسي ... وهكذا، كأنَّ الله لم يرسل نبياً قبله حتى يصعب عليهم تفسير ظاهرة الوحي " 89 و هذا ما جعلهم يخرجون بأسوأ الأفكار في حق الإسلام ، مثل " التقليل من قيمة الفقه الإسلامي و اعتباره مستمدّاً من الفقه الروماني ، و النيل من اللغة العربية و استبعاد قدرتها على مسايرة ركب التطور و تكريس دراسة اللهجات لتحل محل العربية الفصحى ، و إرجاع الإسلام إلى مصادر يهودية و نصرانية بدلاً من إرجاع التشابه بين الإسلام و هاتين الديانتين إلى وحدة المصدر " 90 و 91
كان الاستشراق بهذا من أوائل مظاهر الصراع الحضاري في العصر الحديث ، و من أوائل من كرس لتبعية الشرق المسلم للغرب . و لهذا ظهر التجديد كردة فعلٍ للاستشراق؛ دفاعاً عن القرآن و السنة و تاريخ الأمة و تراثها المفترى عليهما .
و إذا انتقلنا إلى تيارات أخرى ظهرت بعد الاستشراق ، نجدها تشربت هذا الفكر و عملت على تحقيق تلك التبعية عن قصدٍ أو غير قصد .

89 الاستشراق و المستشرقون ما لهم و ما عليهم (ص: 26)

90 أي المصدر الإلهي ، فكلها من عند الله ﷻ .

91 الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب و الأحزاب المعاصرة (2/ 691)

- فالعصرانية و هي " حركة تحديث واسعة نشطت داخل الأديان الكبرى ، اليهودية و النصرانية و الإسلام ، و عرفت في الفكر الديني الغربي باسم العصرانية (Modernism) وهي لا تعني مجرد الانتماء إلى هذا العصر ولكنها مصطلح خاص ؛ إذ تعني العصرانية في الدين ، الاعتقاد بأن التقدم العلمي والثقافة المعاصرة يستلزمان إعادة تأويل التعاليم الدينية التقليدية على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة "92 و عليه ظهرت لأدعياء العصرانية تجاوزات في العقيدة و التشريع و الفكر ، و من أهم هذه التجاوزات : 93

أولاً : القول بتاريخية النصوص بما في ذلك ما يتعلق بأدلة الاعتقاد .

و يعنون بذلك ضرورة تغيير تأويلها و تفسيرها من أن لأن ، أو إمكانية ذلك على أقل تقدير ، و لا يفرقون في ذلك بين عقيدة و فقه ... الخ ، يقول أركون في ذلك : " وهنا نصطمم بأكبر عقبة في وجه تقدم الدراسات الإسلامية والفكر العربي ، ألا وهي : التسليم للعقائد ورفض تاريخية العقائد ، أو رفض ارتباطها بجميع العوامل المحركة للمجتمع ككل من اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية " 94

ثانياً : إسقاط الفرق بين المؤمنين و الكافرين .

و هي فكرة قديمة جديدة تحرص على إذابة الفوارق بين الديانات سماوية كانت أم وضعية ، قديماً عبر عنها شعر ابن عربي بشعر: 95

لقد صار قلبي قابلاً كل الصور فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالدين ديني و إيماني

92 مجلة البيان العدد :137/ الصفحة : 114 ، مأخوذ من قاموس إنجليزي عربي، ص 586 لمنير البعلبكي ، مقال المدرسة العصرانية محمد حامد الناصر .

93 التجديد بين الإسلام و العصرانيين الجدد ، أنس بن محمد جمال بن حسن أبو الهنود ، ص111 ، 112 .

94 الفكر الإسلامي قراءة علمية ، د. محمد أركون ، ترجمة : هاشم صالح ، ص15 ، المركز الثقافي العربي ، و مركز الإنماء القومي ط2 سنة 1996 م .

95 ترجمان الأشواق لابن عربي ، ص62 ، دار المعرفة بيروت ، ط1 سنة 2005 م .

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

و حديثاً ظهرت في صورة الدين الإبراهيمي الذي يقوم على ما يقطع أصحاب هذه الدعوة من الرسائل السماوية الأخيرة " اليهودية – المسيحية – الإسلام " و صهره معاً؛ لتكوين دين جديد ، و ترك باقي هذه الرسائل .

ثالثاً : رد الغيبات .

و هذه – أيضاً – قديمة جديدة ، بدأت بإنكار وجود الجن بدعوى العلم ، ثم استشرت في باقي الغيبات التي يؤمن بها المسلم ، و انتشر إنكارها في كتب أدعياء العصرانية و في وسائل التواصل الاجتماعي و كذا برامجهم التليفزيونية ، مثل إنكار سؤال الميت في قبره، و عذابه أو نعيمه فيه و الصراط بين الجنة و النار و غيره من غيبات اليوم الآخر.

رابعاً : استحلال المحرمات المعلومة من الدين بالضرورة .

و هي من الموضوعات الفكرية التي ظهرت – حالياً – بدعوى الحرية الشخصية ، و أن التحريم و غيره من أحكام الشريعة يتعارض مع هذا المبدأ مبدأ الحرية ، و رتبوا على ذلك أيضاً مبدأ

الدعوة إلى الله بالحكمة و الموعدة الحسنة ، و النصيحة للأئمة و العامة . هذا في سياق التنظير للعصرانية ، و في سياق التطبيق ، نجد الأمر أدهى ، فهناك من تجرأ منهم على تحليل ما حرم الله ، فادعى " أنه لا رجم في الإسلام وأن الزواج المختلط بين المسلمين والكتابيين رجالهم ونسائهم حلال شرعاً " ⁹⁶ ... إلى غير ذلك من الأفكار و الآراء التي تشنت جهود الانطلاقة نحو التجديد الحقيقي كما هو في الإسلام ، حتى قال أحدهم تحت عنوان : " لماذا يُكتب على الفكر الإسلامي وحده الجمود " : " إن التطور مسألة حتمية في كل شيء ... ولا تصح التجربة المثالية للدين في عصر الخلفاء الراشدين ... إنها تجربة مثالية بالنسبة لظروف الخلفاء الراشدين السائدة في وقتهم،

⁹⁶ أين الخطأ ، عبد الله العلابي ، ط بيروت سنة 1978 .

وبالنسبة لتفكيرهم وزمانهم وأقوامهم ويستلزم من أجل ذلك ترجمة جديدة ، وإعادة تقدير للحقائق الأساسية للعقيدة ويجب أن نصح منهجنا للدين كل سنة وكل شهر وكل يوم وكل لحظة وليس كل مائة سنة لأن المعرفة لا نهاية لآفاقها، ولأن التقدم الإنساني لا تَوَقَّف لسيره " 97

و قد تم التطبيق بشكلٍ أوسع في مجالات أدبية و فكرية أخرى ، فالحدائث ، و هي مذهب أدبي فكري تقوم على أفكار و معتقدات روادها من المفكرين و الأدباء و الشعراء ، و أهمها : 98

- رفض مصادر الدين - الكتاب والسنة والإجماع - وما صدر عنها من عقيدة إما صراحة أو ضمناً .

- رفض الشريعة و أحكامها كموجه للحياة البشرية .

- الدعوة إلى نقد النصوص الشرعية، والمناداة بتأويل جديد لها يتناسب والأفكار الحدائثية.

- الدعوة إلى إنشاء فلسفات حديثة على أنقاض الدين.

- العولمة : فإذا ما وصلنا إليها ، و هي أحدث هذه التيارات ظهورًا ، وجدناها تمثل خطاب ما بعد الحدائث ، و المعروف " عن هذا الخطاب أنه يسعى إلى هدم كل نظام وإعادة صياغة جهاز المفاهيم بحيث يصبح التفكيك هو السمة البارزة ، تفكيك العقل لكي لا يصبح وحده المسؤول عن التفكير، وتفكيك القيم لكي لا تكون بمثابة حاجز يعيق تحقيق المصالح الشخصية والغرائز البشرية ، وتفكيك النظام حتى يمكن تمرير الأفكار الهجينة والشاذة ، وتفكيك الأمم والمجتمعات والدول حتى تعيد تشكيلها وبناءها وصياغة قيمها من جديد. " 99 و خطاب ينسم بما سبق لاشك يريد هدم القيم و العادات و التقاليد و الأنماط الثقافية الموروثة في الشعوب التي يريد الهيمنة عليها ، فالعولمة بذلك تتركس

97 الفكر الإسلامي والتطور، د محمد فتحي عثمان، ط 2، الكويت ، 1996م ، ص 73 .

98 الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (2/ 868)

99 ثقافة العولمة بوصفها خطابا متطرفا ، أد عبد الله العشي ، (ص: 1، بترقيم الشاملة أليا)

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

لتحقيق تبعية الشرق للغرب أو أمركة الشرق ، كما يطلق عليها البعض ؛ نظراً لسيادة أمريكا على العالم – حالياً – مما يمهد لفرض التجربة الغربية أو الأمريكية على الشرق . و لكن إذا كان الغرب قد " تخطى المقاعد الخلفية و هب من رقاد طال أمده و نهض من تخلف استحكمت ظلّمته و نفّض عن نفسه و ضر الخرافة و انسلخ من ماضيه و استقبل حياة مجردة متحررة من كل سلطان ، و شكل حياة جديدة خلصته من عصور التخلف¹⁰⁰ التي حاربت العلم و أحرقت الكتب و ربطت الناس بطقوس دينية ثقيلة ... فإنه لن تتأتى لمشرقنا العربي ممارسة التجربة الغربية لأن له عقيدة ورسالة و موروثاً، تشكلت منها حياته التي خاض بها تجربة التفوق و التآلق، و لم يعش فراغاً فكرياً ، و تخلفه وضعفه العارضان نتيجة تفريطه بمؤهلاته القيادية . و حين أدرك الغرب أن المارد منتفض لا محالة، أفاض عليه بسقطه و حشّوه و سوء كيله ؛ ليظل مقطورة مسيرة لا مخيرة " ¹⁰¹

و كان من أهم مساعديه في تحقيق ذلك تلك النوعية من القيادات و المفكرين من أهل الشرق الذين ترسموا خطى التجربة الغربية و تبنوا الفكر الغربي بقيمه و مفاهيمه و فلسفاته و نظمه و آمنوا " بها إيماناً كإيمان المتدينين بالديانات المؤمنين بالشرائع السماوية و فقدوا الثقة بصلاحيّة الإسلام لمسيرة العصر الحديث و تطوراته و أحداثه، و كرسالة خالدة عالمية " ¹⁰²

و الملاحظ أنهم ينفاتون بين تصريح بعضهم برأيه و تلميح بعضهم إليه دون الجهر؛ لأسباب عدة ، كالعقيدة ، فعقيدة بعضهم أثرت في ذلك ؛ إذ منهم المسلم و المسيحي و الملحد ، كما أثر في ذلك نظر بعضهم في مقابلة الناس لفكره ؛ لأن الناس كثيراً ما يرفضون الفكر الذي يصرح برفض الدين أو التقليل من شأنه . و حتى لا يقابلون برفض فكرهم و مواجهته؛ فإن بعضهم وضع أسباباً ظاهريّة لفكره و دعوته ، فأصحاب التنوير يذكر بعضهم أن إرادة تنوير العقول هي السبب الأول لما دعوا إليه ، و دعاة العلمانية

¹⁰⁰ العصور الوسطى التي حكمت فيها الكنيسة .

¹⁰¹ مجلة البيان العدد 64 / ص 44 ، الملف الأدبي ، مقال : الحداثة بين التعمير و التدمير ، د. حسن بن فهد الهويمل

¹⁰² المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة و إعداد الدعاة ، السنة التاسعة - العدد الرابع - ربيع أول 1397 هـ / 1977 م

(ص: 65)

بينوا أن السبب الأول لدعوتهم حب العلم و تقديمه في حياة الناس ؛ لتحقيق التقدم العلمي . و لكن السبب الحقيقي لذلك كله رفض الدين و الرغبة في إلغاء دوره في الحياة ووضع تشريع بشري جديد يسير الحياة البشرية وفق أهواء أصحاب هذه التيارات و ادعيائها . أما التجديد ، فالمعرفة الدينية فيه تراكمية ، لا أزمة فيها كما يدعي البعض ، بل كلُّ يجتهد قدر طاقته ، حتى و إن وهى بعض القدماء أو وهم ، فليس هذا مدعاة لهدم كل اجتهاده وفكره ؛ لأنه عندئذٍ لن يقل ما يهدم من كيان الأمة و دينها و حضارتها عما نهدم من تراثها المتفق عليه .

ثالثاً : ضوابط التجديد .

الكلام السابق عن أسباب التجديد يأخذنا الضوابط التي ينضبط بها التجديد حتى لا يخرج عن صورته المبتغاة في الإسلام إلى صور زائفة ، و قد تكلم العلماء عن هذه الضوابط و عدوها ما بين الاستناد إلى القرآن و السنة فيه و الالتزام باللغة العربية في فهم النصوص الشرعية و أهلية المجدد لهذا الأمر ... الخ ، و يمكن أن نردها إلى نوعين من الضوابط ، هي :

أ- ضوابط التأصيل العلمي .

و يعني ذلك أن تبدأ مسألة تجديد الدين من معرفة أن الدين علمٌ لا يتكلم في مناقشة تجديده و كفيته إلا العلماء المؤهلون لذلك ، و ليس مجالاً يتكلم فيه كل من أراد إبداء رأيه في الدين أو تغيير ما لا يعجبه فيه .

و هذا التأصيل مأخوذاً من القرآن و السنة ، فأيات القرآن تؤكد على ذلك ، و إذا ذهبنا نستقضي الآيات التي تبين ذلك ، لطل بنا المقام .

و من هذه الآيات التي تربط بين الوحي و العلم ارتباط الاسم بمعناه ، قوله ﷺ عن عيسى

ﷺ : ﴿وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾¹⁰³ ، و يقول ﷺ عن القرآن

الكريم : ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى .

¹⁰³ سورة المائدة الآية 110 .

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى} 104 ، و يقول ﷺ: {الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ} 105 ، فالكتب المنزلة وحي لآباد أن يتعلمه الإنسان إذا أراد أن يقول فيه ؛ لنلا يقول فيه بهوى أو بغير علم . و ليس الدين بدعاً في ذلك – كما يدعي البعض – أن علماء الدين يحتكرون الدين لأنفسهم، فكل علم له أصوله ، و له متخصصون فيه ، و ليس لغيرهم البت في شئونه ؛ حتى لا يحدث خطأ أو إفساد .

و كذلك الدين ليس لغير العلماء به أن يناقشوا أصوله و فروعه و مناطق التجديد المتاحة حسب هذه الأصول ؛ لأن تدخل غيرهم في ذلك يعني تغيير الدين و ضياع ملامحه الأصلية المميزة له .

و لذلك وجدنا النبي ﷺ يؤكد على ضرورة طلب العلم عامة و علم الدين خاصة ، و يبين أن العلماء عصمة للأمة من الضلالة . يروى عنه ﷺ قوله : «خُذُوا الْعِلْمَ قَبْلَ أَنْ يَنْفَدَ» . ثَلَاثًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَنْفَدُ، وَفِينَا كِتَابُ اللَّهِ؟ فَغَضِبَ لَا يُغَضِبُهُ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: تَكَلُّمُكُمْ أُمَّهَاتِكُمْ، أَلَمْ تَكُنِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، ثُمَّ لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ شَيْئًا. إِنَّ ذَهَابَ الْعِلْمِ ذَهَابُ حَمَلَتِهِ ﴿ 106 و كثيرة هي الروايات عن النبي ﷺ التي نحث على طلب العلم للحفاظ على الدين ، حتى اعتبر موت العالم ثلثة في الإسلام ؛ لأن هلاك العلماء يعطي الفرصة لظهور أهل الجهل الذين يقولون بغير علم فيضلون و يضلون عن سواء السبيل ، روى في ذلك عن عبد الله بن عمرو قول النبي ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاكُمْوَهُ أَنْزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَالٌ، يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتَوْنَ بِرَأْيِهِمْ، فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ ﴿ 107

104 سورة التجم الأيتان 4 ، 5 .

105 سورة الرحمن الأيتان 1 ، 2 .

106 المعجم الكبير للطبراني (8/ 232) حديث رقم 7906 .

107 صحيح البخاري (9/ 100) حديث رقم 7303 باب ما يذكر في ذم الرأي و تكلف القياس ، و رواه مسلم في باب رفع العلم و قبضه و ظهور الجهل .

ولذلك وجدنا القرآن الكريم يمدح أهل العلم و يذم الذين يقولون على الله بالأهواء . يقول ﷺ في مدح أهل العلم : {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} 108 ، و يقول ﷺ : { يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ } 109 . و يقول ﷺ في ذم من قال في الدين بغير علم : {وَأِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ} 110

و يقول ﷺ : {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} 111

و هذا لا يعني أن الدين حكر على بعضٍ دون بعض ، بل علم الدين مبذول لطالبه ، و الكل يأخذ منه على قدر طاقته و مقدرته ، و قد طالعنا في كتب العلم ، أن من أهل العلم من كان من أصحاب المهن ، كالبزاز و النجار و التاجر و الذهبي و الساعاتي و غير ذلك . و المراد أن الإنسان لا يعطي لنفسه حق التحكم في الدين ، بل يعطي الدين حق تنظيم حياة المسلم .

ب- ضوابط التطبيق العملي .

أما ضوابط التجديد من ناحية التطبيق العملي ، فكثيرة ، أهمها :

* أن يركز تجديد الدين على تجديد الثقة بالله و رسوله و دينه ؛ لأن عدم الثقة و تجديدها يؤدي بنا إلى التمرد – كما نرى من البعض في هذه الأيام – حتى يصل بنا الحال إلى التمرد على الذات لصالح الآخر .

* أن يقوم البحث في التجديد في المنطقة المتاحة التي تتسع صلاحياتها للعصور المختلفة، ومنها مبدأ الوسطية الذي يقوم عليه الدين . و الوسطية – هنا – بمعنى الاعتدال الذي يأتي في منتصف المسافة بين المضيقين و الموسعين في مفهوم التجديد .

108 سورة العنكبوت 49 .

109 سورة المجادلة 11 .

110 سورة الأنعام 119 .

111 سورة القصص 50 .

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

و منها كذلك الاعتماد على مبدأ الاجتهاد الذي ذكرناه - قبل ذلك - في أسباب التجديد ، فهو من أهم الضوابط في الوقت نفسه ؛ إذ يقوم عليه البحث و التشريع و الذي يسوغ كون الاختلاف في الفرعيات دون الأولويات من الرحمة و التنوع ، لا من الخلاف المسبب للعداوة ، طالما أن الاجتهاد لا يؤدي إلى ما يعارض الدين أو يناقضه ، و هذا عينه ما يفرق بين الاجتهاد المنضبط بضوابط الشرع و الذي يوصل للقياس ، و بين الرأي المحض الذي لا يستند إلا إلى الاستحسان الشخصي أو نقيضه .

و أخيراً من ضوابط التطبيق العملي للتجديد ، تعاون العلماء المسلمين في كافة فروع العلم في استخدام النتائج و المسلمات التي توصل إليها العلم الحديث في تأكيد المبادئ الإسلامية .

المبحث الثالث

نتائج العمل على التجديد " صور من التجديد قديماً و حديثاً "

كان لوعي العلماء بحديث رسول الله ﷺ عن القادم على رأس كل قرن ليجدد لأمته ﷺ دينها ، أثر كبير حرك العلماء في اتجاهات عدة ، منهم المصلح الذي تحرك فعلياً لإصلاح ما ظهر من مثالب و عيوب و انحرافات في الأمة ، كلٌ في موضعه منها منفعلاً بمبادئ الحق والإصلاح في الدين كله ، و مصداقاً لهذا الحديث النبوي الشريف .

و في جهةٍ أخرى ، تحرك علماء لرصد المجددين في كل قرن ، و بيان أن تجديد الدين دوري الحدوث ؛ يبرز ظهوره على رأس كل قرن ، فيكون حصيلة جهود وإصلاحاتٍ طويلة مهدت له ؛ و لعل هذا ما دفع الشيخ أمين الخولي لرأيه القائل فيه بأن "التجديد حركة دائمة متصلة ما اتصلت الحياة ، و ما قام فيها من يحيي الحياة من الانحراف و يجهر بالحق و يصون المجتمع من الانتكاس و شيوع المفاصد فيه " 112

و هذا - أيضاً - ما جعلهم يتكلمون في مراتب التجديد و المجددين ، فهناك التجديد الكلي و التجديد الجزئي ، و المجدد الكلي و المجدد الجزئي .

112 المجددون في الإسلام ، للشيخ أمين الخولي ، ص 17 ، دار المعرفة القاهرة ط 1 - 1965 م .

أولاً : المجدد الكلي .

و هذا المجدد " يجري الله على يده التجديد في جميع جوانب الدين ، فلا يدع جانباً إلا و قد أعاده إلى نقائه الأول ، و يعم نفعه و أثره في جميع أقطار المسلمين " 113 و يمكن أن نستنتب من الكلام السابق عن المجدد الكلي أو المطلق ، أنه صاحب الحكم ، كالخليفة في العهد الإسلامي ؛ لأن الحاكم أو الخليفة تكون في يده الأسباب الميسرة للتجديد في جوانب الدين ، فيصدر من القرارات و القوانين و التشريعات ما يحقق ذلك ، كما وجدنا عند عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي العادل ؛ و لهذا قد يكون عمر نموذجاً على هذا المجدد أو كاد أن يكون ؛ إذ لم يسعفه الوقت لإكمال مسيرته التجديدية ؛ لموته بعد عامين فقط من خلافته .

ثانياً : المجدد الجزئي .

و هذه المرتبة تلي المرتبة السابقة من التجديد ، و هي الغالبة في تاريخ التجديد في الإسلام ، " فعامة المجددين يكون تجديدهم جزئياً غير كامل ، و هذا ينسجم مع بشرية المجدد ؛ و لذلك فإن تجديد الدين الذي يكون على رأس كل مائة سنة يقوم به جماعة من المجددين و ليس واحداً " 114 ، و قد أشرنا من قبل إلى قول ابن حجر الذي يتفق مع ذلك، و من بعده كالفاري الذي قال : " هَذَا وَالْأَظْهَرُ عِنْدِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ الْمُرَادَ بِمَنْ يُجَدِّدُ لَيْسَ شَخْصًا وَاحِدًا، بَلِ الْمُرَادُ بِهِ جَمَاعَةٌ يُجَدِّدُ كُلُّ أَحَدٍ فِي بَلَدٍ فِي فَنٍّ أَوْ فَنُونٍ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ مِنَ الْأُمُورِ النَّقْضِيَّةِ أَوْ التَّحْرِيرِيَّةِ وَيَكُونُ سَبَبًا لِبَقَائِهِ وَعَدَمِ انْدِرَاسِهِ وَانْقِضَائِهِ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ " 115

و على ما سبق نجد التجديد يتنوع بين كلي و جزئي ، و الجزئي يتنوع بدوره ، فأصله الديني و يخرج منه تجديد في مجالات الحياة المتعددة التي يرفدها الدين ، فقد يظهر تجديد علمي و سياسي و فلسفي ، و قد يظهر على يد الفقيه كالشافعي ، و يد المفسر كالشعراوي،

113 التجديد بين الإسلام و العصرانيين الجدد ، أنس بن محمد جمال بن حسن أبو الهنود ، ص46 .

114 المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

115 مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري ، (1/ 321)

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

و على يد الفيلسوف كـمحمد إقبال ، و من التجديد ما يكون نظرياً ، و منه ما يظهر في الجوانب العملية . على هذا الأساس تقابلنا صور كثيرة من التجديد سجلها العلماء في كافة مجالات الحياة في كتبهم الخاصة بذلك ، إذ سجلوا أسماء المجددين على رأس القرون الهجرية ، و بينوا المجالات التي جددوا فيها و طبيعة جهودهم التجديدية . أكد البعض أن المجددين التسعة الأول ، كانوا كالتالي :

- عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى .
- الإمام الشافعي على رأس المائة الثانية .
- القاضي ابن سريج على رأس المائة الثالثة .
- القاضي الباقلاني على رأس المائة الرابعة .
- حجة الإسلام أبو حامد الغزالي على رأس المائة الخامسة .
- الإمام فخر الدين الرازي على رأس المائة السادسة .
- الإمام ابن دقيق العيد على رأس المائة السابعة .
- الإمام البلقيني على رأس المائة الثامنة .
- الإمام السيوطي على رأس المائة التاسعة .

و رأى البعض اعتبار مجددين آخرين في بعض القرون التي ذكرت ، مثل القول : إن الإمام أبا الحسن الأشعري هو المجدد على رأس المائة الثالثة¹¹⁶ ، و أن أبا الطيب سهل بن سليمان الصعلوكي النيسابوري هو المجدد على رأس المائة الرابعة¹¹⁷ ، أو أنه أبو حامد الإسفراييني ، و أن الخليفة المسترشد بالله هو المجدد على رأس المائة الخامسة¹¹⁸ . إلى جانب ما سبق ، اجتهد بعض العلماء فعدوا " في كل مائة حكماً مع العلماء ، فعلى رأس المائة الأولى من أولي الأمر عمر بن عبد العزيز ، قالوا عنه : يكفي هذه الأمة وجوده خاصة ... و في المائة الثانية هارون الرشيد مع الشافعي ، و في الثالثة المقنن

¹¹⁶ بدلاً من القاضي ابن سريج .

¹¹⁷ بدلاً من الإمام الباقلاني .

¹¹⁸ بدلاً من الإمام الغزالي .

بالله مع ابن سريج ، وفي المائة الرابعة القادر بالله مع أبي حامد الإسفراييني ، وفي الخامسة المستظهر بالله مع الغزالي ... " 119

و هذا الاجتهاد مظهر من مظاهر التصديق لنزوع العلماء إلى القول بتعدد المجددين في الوقت الواحد ، مستنبطاً ذلك من حديث رسول الله ﷺ في هذا الشأن ﴿ من يجدد لها أمر دينها ﴾ جاء في عون المعبود : " وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مُجَدِّدٌ وَاحِدٌ فَقَطْ ، بَلْ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ " 120 ، و أشار في ذلك إلى قول الحافظ بن حجر : " حَدِيثُ إِنْ أَلَّهِ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ فِي رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ وَاحِدٌ فَقَطْ بَلْ يَكُونُ الْأَمْرُ فِيهِ كَمَا ذَكَرَ فِي الطَّائِفَةِ وَهُوَ مُتَّجَهُ فَإِنَّ اجْتِمَاعَ الصِّفَاتِ الْمُحْتَاجِ إِلَى تَجْدِيدِهَا لَا يَنْحَصِرُ فِي نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ وَلَا يَلْزَمُ أَنْ جَمِيعِ خِصَالِ الْخَيْرِ كُلِّهَا فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ " . 121

و إذا جمعنا إلى ذلك رؤية الشيخ الخولي بأن العلماء ينحون بالتجديد منحى عملياً ، تبين لنا إمكانية الجمع بين الآراء المتعددة للعلماء في مجدي القرون ، فالمجددون " قد يتعددون في القرن الواحد ، فيكون كل واحدٍ منهم عاملاً في ميدانٍ من ميادين الحياة العلمية والعملية ، فكل واحدٍ ينفع بغير ما ينفع به الآخر ... فالأحسن والأجدر أن يكون ذلك إشارة إلى حدوث جماعةٍ من أكابر المشهورين على رأس كل مائة سنة ، يجددون للناس دينهم ويحفظونه عليهم في أقطار الأرض " . 122

و يلفت النظر – هنا – ربط الشيخ الخولي ما سبق مع الاعتقاد بأن " التجديد حركة مستمرة ، و أنه يوجد في أثناء القرن من قد يكون أفعالاً أثراً و أكثر صلاحية ، و أن التعيين بالقرن ليس المراد منه إلا أن التجديد ظاهرة اجتماعية مطردة ثابتة مكررة تكون

119 المجددون في الإسلام ، الشيخ أمين الخولي ، ص 14 .

120 عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح غلله ومشكلاته ، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر ، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: 1329 هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الثانية، 1415 هـ ، ج 11 ، ص 259 .

121 فتح الباري لابن حجر (13/ 295)

122 المجددون في الإسلام ، الشيخ أمين الخولي ، ص 16 .

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

على تطاول الزمن " 123 فهذا يشير إلى مئات المجددين على صعيد المكان و الزمان قديماً و حديثاً ، فالشافعي كان مجدداً على رأس قرن ، و ابن حنبل كان مجدداً في سياق القرن التالي ... و هكذا .

و يكفي أن نطالع موسوعات الأعلام؛ ليتأكد لنا ذلك ، فأحد مؤلفيها يورد مجدي كل قرن ، فيذكر في كل قرنٍ ، ما لا يقل عن أربعة مجددين .

في القرن السادس – على سبيل المثال – يورد الإمام الفخر الرازي باعتباره أحد مجدي هذا القرن ، يسبقه أربعة عشر مجدداً منهم الشريف الإدريسي و الشاطبي و أبو الفرج الجوزي و الزمخشري . 124 و في القرن السابع ، لم يكتف بالإمام ابن دقيق العيد الذي ذكرناه آنفاً ، بل أورد معه سبعة وعشرين مجدداً ، منهم القرطبي و العز بن عبد السلام و ابن عطاء الله السكندري و ابن تيمية 125 ، و جميعهم مما لا ينكر أثره الإيجابي في المجالات الثقافية الإسلامية المتنوعة .

و الملاحظ أن هذا ديّن العديد من المهتمين من العلماء بهذا الشأن ؛ لاسيما مع دخول الأمة في العصر الحديث ؛ إذ ظهر العديد من العلماء المجتهدين في الأمة ، و الساعين إلى إصلاح أحوالها ، و إذا كانت العلمانية ظهرت في العالم الإسلامي – في العصر الحديث - باسم التنوير تارة ، و الحرية تارة ، و العقلانية تارة أخرى ، فقد ظهر في مقابلها الإصلاح و التجديد رداً على هذه المصطلحات .

و على ذلك تطالعنا أسماء عدة، حاول أصحابها إضاءة حياة الأمة كلُّ حسب اجتهاده وإمكانه منهم في القرن الثالث عشر الشيخ محمد بن علي الشوكاني، و رفاعة رافع الطهطاوي ، و جمال الدين الأفغاني ، و عبد الرحمن الكواكبي ، و الإمام محمد عبده . و منهم في القرن الرابع عشر ، الشيخ المراغي و الشيخ عبد الحلیم محمود و الشيخ محمود شلتوت و الشيخ محب الدين الخطيب ، و مالك بن نبي . و منهم في القرن الهجري الحالي

123 المجددون في الإسلام ، الشيخ أمين الخولي ، ص21 ، 22 .

124 موسوعة أعلام المجددين في الإسلام ، سامح كُرَيْم ، ج2 ، ص7 ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، ط1 .

125 موسوعة أعلام المجددين في الإسلام ، سامح كُرَيْم ، ج2 ، ص8 ، 9 ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، ط1 .

د. عجميه السيد محمد براهيم

الشيخ الباقوري و الشيخ الشعراوي و أبو الحسن الندوي، ووحيد الدين خان. و الملاحظ في المجددين الذين سلف ذكرهم من القدماء والمحدثين أمران :

- الأول : أن الاجتهاد سمته عند كل مجددٍ ، و هو الموطئ للتجديد .
- الثاني : أن نسبة كبيرة من المجددين كانوا كوكبةً من الذين تعلموا في منارات الإسلام ، مثل البيت الحرام في مكة ، و الجامع الأزهر في مصر ، و جامع الزيتونة في تونس ، و هذا لفت أنظار العلماء المنظرين فيما بعد لما رصدوه من أن للتجديد مظهرين يكمل كلُّ منهما الآخر ، فهناك التجديد بشكل فردي ، و هناك التجديد بشكل مؤسساتي ، بمعنى أن تهتم مؤسسة إسلامية بأكملها بمبدأ تجديد الدين و القيام به وضبط أصوله و قواعده .

و قد كان و لا يزال للأزهر الشريف باعٌ كبير في هذا الميدان ، فظهر من أبنائه العلماء من قام على هذا الأمر قديمًا و حديثًا ، ثم انضمت إليه العديد من المؤسسات و المراكز الإسلامية و الكلام السابق لا ينفي أن بعض القرون كان أكثر نصيبًا في المجددين من بعض ؛ و يرجع ذلك إلى تدهور أحوال العالم العربي و الإسلامي في المجالات الحياتية المختلفة ، و ما يتبع ذلك من تدهورٍ في التفكير¹²⁶ .

و بعد هذه الإطلالة على إجمالي صور التجديد، نقف ببعض التفصيل على بعضها .
أولاً : المجدد الأول عمر بن عبد العزيز .

أجمع العلماء على أنه كان المجدد على رأس المائة الأولى ، " وكان أول من أطلق ذلك الإمام محمد بن شهاب الزهري ، ثم تبعه الإمام أحمد حتى لم يكد أحدٌ يخالف في ذلك " ¹²⁷ . و كان حينها خليفة من خلفاء بني أمية ، انتقلت إليه من سليمان بن عبد الملك الذي قبل " نصيحة الفقيه العالم رجاء بن حيوة الكندي الذي اقترح على سليمان في مرض موته أن يولي عمر بن عبد العزيز، وكانت وصية لم يكن للشيطان فيها نصيب " ¹²⁸

¹²⁶ كما نلاحظ في القرون من السادس إلى الثاني عشر .

¹²⁷ مجلة البيان ، إصدارات المنتدى الإسلامي ، لندن ، ط1 سنة 1990م . (9/3)

¹²⁸ عمر بن عبد العزيز معالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة ، للصلاحي (ص: 36)

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

و كانت ركيزة التجديد عنده ، أنه أكمل خط الخلافة الراشدة بعد انقطاعه بقتل آخر الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب عليه السلام ، و قيام خلافة بني أمية ، ذكر هو نفسه ذلك في رسالة كتبها إلى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فقال : " ... و قد رأيت أن أسير في الناس بسيرة عمر بن الخطاب و قضائه في أهل القبلة و أهل العهد ، فإنني متبع أثره و سائر بسيرته " 129 و في موضع آخر قال : " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض و ترك الناس على نهجٍ مورود ، فولي ذلك النهج بعده رجل فلم يستحض منه شيئاً ، ثم ولي ذلك النهج رجل آخر فكري منه ساقية ، ثم لم يزل الناس يكرون منه السواقي حتى تركوه يابساً ليس فيه قطرة ، و ايم الله لئن أبقاني لأكسرن تلك السواقي حتى أجريه مجراه الأول" 130 و لم يقتصر تجديد عمر بن عبد العزيز في جانبٍ دون غيره ، بل قام إجمالاً ، بإحياء عصر النبوة و الخلافة الراشدة في جوانب الحياة السياسية و اقتصادية و اجتماعية و دينية ... الخ . و هذا ما دفع البعض ليرى أنه مجدد كلي مطلق ، ساعده على ذلك منصب الخلافة و الإمامة الكبرى الذي جازه .

في الجانب السياسي ، أرجع مبدأ الشورى في الحكم بدءاً من اختيار الخليفة ، و مروراً بمشاوره أهل الحل و العقد في كل شأن من شؤون الحكم ، بعد أن أرست الخلافة الأموية مبدأ الوراثة بدلاً من المبدأ الإسلامي (الشورى) في اختيار الخليفة ، فقال في أولى خطبه عقب استخلافه : " أيها الناس إنني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي كان مني فيه ، و لا طلبه له ، و لا مشورة من المسلمين ، و إنني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعني فاخترتوا لنفسكم ، فصاح الناس صيحة واحدة : قد اخترناك يا أمير المؤمنين و رضينا بك ، فل أمرنا باليمن والبركة " 131

كما أعاد للأمة مبدأ العدل بين الرعية و الزهد و إيثار الرعية على نفسه و أهله بعد معاناة الناس في عهد غيره من خلفاء بني أمية من ظلم العمال و الولاة فكان لعمر فيه بحق "

129 سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ، ص114 .

130 المرجع السابق ص105 .

131 المرجع السابق ، ص50 .

د. عجميه السيد محمد براهيم

القدح المعلاة ، وكان بحق وارثاً فيه لجدّه لأمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه " 132 . و التفصيلات في هذا الأمر كثيرة ، يضيق عنها البحث ، ويرجع فيها إلى المراجع التي اهتمت ببيانها .

هذا إلى جانب ما حرص عليه من استعمال الصالحين ، فقد جعل من العمال على الولايات من يحقق السياسة التي انتعجها من حفظ الرعية و الرحمة بها و حفظ الأمن و الدين و الأخذ على يد الظالم بالبينة كان يختارهم و يمتحنهم و يوصيهم و يخوفهم و تتابع الكتب بينه و بينهم . و من أشهر عماله الحاج بن عبد الله الحكمي الذي ولي خراسان و سجستان ، و عدي بن أرطاة الفزاري الذي ولي البصرة ، و عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب والي الكوفة ، و عمر بن هبيرة والي الجزيرة ، و أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم والي المدينة ، و عبد العزيز بن عبد الله بن أسيد الأموي والي مكة ، و رفاعة بن خالد بن ثابت الفهمي والي مصر¹³³ ... و غيرهم ممن جاءت الترجمة له تبين أنه من أهل المنصب الذي وضع فيه ، و أنهم قاموا بمهامهم خير قيام و طبقوا سياسة عمر العادلة خير تطبيق .

و في الجانب الاقتصادي ، قام بسياسة مالية إصلاحية في الأمة بعد البذخ الذي عاش فيه خلفاء بني أمية ، قامت على التشديد على نفسه ، فانخفض إيراده " السنوي من خمسين ألف دينار إلى مائتي دينار ، و كانت نفقته كل يوم درهمين " 134 ، و قد روي عنه في هذا الشأن ما يعجب له الإنسان ، فقد روي " أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَانَ تُسْرَجُ عَلَيْهِ الشَّمْعَةُ مَا كَانَ فِي حَوَائِجِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِذَا فَرَّغَ ، أَطْفَأَهَا ، وَأَسْرَجَ عَلَيْهِ سِرَاجَهُ . و أنه أُتِيَ بِعَنْدَرَةٍ ، فَأَمْسَكَ عَلَى أَنْفِهِ ؛ مَخَافَةَ أَنْ يَجِدَ رِيحَهَا ، و أَنَّه سَدَّ أَنْفَهُ ، وَقَدْ أَحْضَرَ مِنْكَ مِنَ الْخَزَائِنِ " 135 ، و لما سئل ابنه عبد العزيز : " مَا أَجْرُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَبُوكَ ، قَالَ : كَانَ لَهُ

132 سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ، ص 98 .

133 عمر بن عبد العزيز معالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة ، علي محمد محمد الصلابي ، ص 311 - 313 بتصرف .

134 التجديد في الفكر الإسلامي ، عنان أمامة ، ص 82 .

135 سير أعلام النبلاء ط الرسالة (5/ 136)

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

مِنَ الْوَالِدِ: أَنَا، وَعَبْدُ اللَّهِ، وَعَاصِمٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَكُنَّا أَعْيَلَمَةً ، فَجِئْنَا كَالْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ وَالْمُودَعِينَ لَهُ ، فَقِيلَ لَهُ: تَرَكْتَ وَلَدَكَ لَيْسَ لَهُ مَالٌ، وَلَمْ تُؤْوِهِمْ إِلَى أَحَدٍ! فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأَعْطِيَهُمْ مَا لَيْسَ لَهُمْ، وَمَا كُنْتُ لِأَحْذُ مِنْهُمْ حَقًّا هُوَ لَهُمْ، وَإِنَّ وَلِيَّيَ اللَّهُ فِيهِمَ الَّذِي يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ " 136

كما أنه بعد تولي الخلافة " أتى بمراكب الخلافة : البراذين و الخيل و البغال ، و لكل دابة سائس ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : مراكب الخلافة ، فقال عمر : دابتي أوفق لي ، فركب بغلته و صرفت تلك ، ثم أقبل ، فقيل : تنول منزل الخلافة ؟ فقال : فيه عيال أبي أيوب ، و في فسطاطي كفاية حتى يتحولوا ، فأقام في منزله حتى فرغوه بعد " 137 كما كان من سياسته المالية قطع الامتيازات عن البيت الأموي و أمرائه ، فقطع " عن بني أمية جوائزهم و أرزاق أحراسهم و رد ضياعهم إلى الخراج و أبطل قطائعهم " 138 حتى ضجوا من ذلك و اجتمعوا عليه و كتبوا إليه شكاية منه .

و في الوقت الذي أخذ الأمراء بالشدّة ، خفف عن عموم الأمة و ساسهم بالرحمة ، فرفع عنهم الضرائب التي أثقلت عليهم من قبله و " الْمَظَالِمِ وَالتَّوَابِعِ الَّتِي كَانَتْ تُؤْخَذُ مِنْهُمْ فِي النِّيروزِ وَالمَهْرَجَانِ وَثَمَنِ الصُّحُفِ وَأرزاق الْعَمَالِ وَأَنْزَالِهِمْ وَصَرَفِ الدَّنَائِيرِ الَّتِي كَانَتْ تُؤْخَذُ مِنْهُمْ مِنْ فَضْلِ مَا بَيْنَ السَّعْرَيْنِ فِي الطَّعَامِ الَّذِي كَانَ يُؤْخَذُ مِنْهُمْ فَضْلَ مَا بَيْنَ الْكَيْلَيْنِ " 139 ، كان يكتب إلى العامل من عماله : " أن اعمل خانات في بلادك فمن مر بك من المسلمين فأقروه يوماً وليلة ، و تعهدوا دوابهم ، فمن كانت به علة فأقروه يومين وليلتين، فإن كان منقطعاً به فقروه بما يصل به إلى بلده " 140 ، كما ألحق ذراري الرجال بالعطايا مقترعاً بينهم ، و قسم في الفقراء " كل إنسان ثلاثة دراهم، و أعطى

136 سير أعلام النبلاء ط الرسالة (5/ 140)

137 سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ، ص 47 .

138 سيرة عمر بن عبد العزيز لأبي محمد المصري عبد الله بن عبد الحكم (ص: 130)

139 تاريخ الطبري ج 6 ص 569 .

140 تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (6/ 567)

الزمنى¹⁴¹ خمسين خمسين " 142 كما جعل للفظم نصيب من الرزق ، و اهتم بتحرير أسرى المسلمين . 143

و اقتصد في مال الأمة حتى كلف عماله في الاقتصاد في الورق الذي يكتبون فيه ؛ إذ " كتب إلى العمال أن لا يكتبن في طومار و لا يمد فيه ، فكانت كتبه شيرًا أو نحو ذلك " 144 ، فأرغد للأمة عيشها و أغناها ، و كان أهم ما انتقل منه إلى الأمة تلك العفة و الفناعة ، تعددت في ذلك الروايات ، منها ما أورده ابن عبد الحكم مما قاله يحيى بن سعيد : " بَعَثَنِي عمر بن عبد العزيز على صدقات إفريقية فاقتضيتها وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد بها فقيرا ولم نجد من يأخذها مني قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس فاشتريت بها رقابا فأعتقتهم وولاهم للمسلمين " 145

و قول آخر : " إِنَّمَا ولي عمر بن عبد العزيز سنتين وَنصفا فذلِكَ ثَلَاثُونَ شهرا فَمَا مَاتَ حَتَّى جعل الرجل يأتينا بِالْمَالِ الْعَظِيمِ فَيُقُولُ اجعلوا هَذَا حَيْثُ تَرَوْنَ فِي الْفُقَرَاءِ فَمَا يَبْرَحُ حَتَّى يرجع بِمَالِهِ يَتَذَكَّرُ من يَضَعُهُ فِيهِمْ فَمَا يجده فِيرجع بِمَالِهِ قد أغنى الله على يد عمر بن عبد العزيز النَّاس " 146

و في جانب الحرية و المساواة ، أغرق عمر في الأخذ بمبدأ المساواة ، حتى كان ينهى سليمان وقت خلافته عن قتل الحرورية¹⁴⁷ ، و يقول : ضمنهم الحبوس حتى يحدثوا توبة ، فأتى سليمان بحروري مستقتل ، فقال سليمان : علي بعمر بن عبد العزيز ، فلما أتاه عمر عاود سليمان الحروري ، فقال : ماذا تقول ؟ فقال : ماذا أقول يا فاسق ابن الفاسق ؟ فقال سليمان لعمر : ماترى عليه يا أباحفص ؟ فسكت ، فقال : عزمت عليك لتخبرني

141 الزمنى جمع زمن ، و هو من أصابته زمانة أي عامة تفقده القدرة على التكسب .

142 تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (6/ 570)

143 المرجع السابق .

144 المرجع السابق ص66 .

145 سيرة عمر بن عبد العزيز (ص: 65)

146 المرجع السابق ، (ص: 110)

147 هم الخوارج

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

ماذا ترى عليه؟ قال: أرى عليه أن تشتمه كما شتمك، و تشتم أباه كما شتم أباك، فقال سليمان: ليس إلا؟ قال: ليس إلا " 148

و قد وصلت هذه المساواة لنفسه، فقد روي عنه - و هو خليفة - أنه " خرج ليلةً و معه حرسى، فدخل المسجد، فمر في الظلمة برجلٍ نائمٍ فعثر به، فرفع رأسه إليه فقال: أمجنون أنت؟، قال: لا، فهم به الحرسى، فقال له عمر: مه، إنما سألتني أمجنون أنت، فقلت: لا " 149

و تجلى هذا الأمر فيما تميز به من المرونة في الحوار و التفاهم، " فقد كان الحوار الهادي و مقارعة الحجة بالحجة أسلوبه في حوار و مناظراته 150، فقد حدث أن: دخل على عمر أناس من الحرورية، فذاكروه شيئاً، فأشار إليه بعض جلسائه أن يرعبهم و يتغير عليهم فلم يزل عمر بن عبد العزيز يرفق بهم حتى أخذ عليهم، و رضوا منه أن يرزقهم و يكسوهم مابقي فخرجوا على ذلك، فلما خرجوا ضرب عمر ركبة رجل يليه من أصحابه، فقال: يا فلان إذا قدرت على دواء تشفي به صاحبك، دون الكي فلا تكوينه أبداً 151.

و إلى جانب ذلك " كان عمر يتحلى بالمرونة الفكرية، متجنباً الجمود و التشدد 152، فقد حدث أن أرسل عمر يزيد بن أبي مالك و الحارث بن محمد؛ ليعلموا الناس السنة و أجرى عليهم الأرزاق، فقبل يزيد و لم يقبل الحارث و قال: ما كنت لأخذ على علم علمنيه الله أجراً، فذكر ذلك لعمر، فقال: ما نعلم بما صنع يزيد بأساً و أكثر الله فينا مثل الحارث 153. و الملاحظ هنا، أنه " لم يتخذ موقفاً محدداً تجاه العالمين، رغم إختلاف موقفهما تجاه قبول الأجر على تعليم الناس، فأيد أخذ الأجر على التعليم، وأنه لا بأس فيه، ثم دعا الله

148 سيرة عمر لابن الجوزي ص 37، 38 .

149 المرجع السابق ص 161 .

150 عمر بن عبد العزيز معالم التجديد و الإصلاح الراشدي على منهاج النبوة (ص: 330)

151 سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص 58 .

152 عمر بن عبد العزيز معالم التجديد و الإصلاح الراشدي على منهاج النبوة (ص: 331)

153 سيرة و مناقب عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم، ص 137 .

أن يكثر من أمثال الحارث ، فاتضحت مرونته في تأييد الموقفين في أن واحد ، رغم إختلافهما "154

ثانياً : الإمام الشافعي .

جاء الإمام الشافعي على رأس المائة الثانية ، و تبلور تجديده في الجانب العلمي نظراً و تطبيقاً ؛ فقع علم أصول الفقه أو ان تعويد العلوم ، و جمع الأدلة التفصيلية بعد تفرقتها بين المذاهب ؛ حتى لا يثت الفقيه و لا يتشدد ، بل يستقيم مع الحق طالما دلت عليه الأدلة الشرعية من قرآن و سنة و غيرهما .

و الحق أننا إذا أنعمنا النظر ، يظهر لنا التجديد في فكر الإمام الشافعي منذ تلقيه العلم ، فإذا كان معاصروه من المذاهب شتى ، يجلس طالب العلم منهم إلى من يناسبه و يميل إليه من أصحاب المذاهب الفقهية أو الكلامية ، فيستقر في حلقة و يأخذ عنه علمه الذي يبني عليه فكره كله و ينتصر له دومًا على غيره ، فإن الإمام الشافعي كان لديه انفتاحًا جعله يتعرف الجميع و يدرس المذاهب و يتعلمها ، حتى قال أبو الوليد المكي الفقيه موسى بن أبي الجارود: " كنا نتحدث نحن وأصحابنا من أهل مكة أن الشافعي أخذ كتب ابن جريح¹⁵⁵ عن أربعة أنفس: عن مسلم بن خالد، وسعيد بن سالم، وهذان فقيهان، وعن عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، وكان أعلمهم بابن جريح ، وعن عبد الله بن الحرث المخزومي، وكان من الأثبات ، و انتهت رئاسة الفقه بالمدينة إلى مالك بن أنس، فرحل إليه و لازمه وأخذ عنه، و انتهت رئاسة الفقه بالعراق إلى أبي حنيفة، فأخذ عن صاحبه محمد بن الحسن جملا ليس فيها شيء إلا وقد سمعه عليه ، فاجتمع له علم أهل الرأي و علم أهل الحديث، فتصرف في ذلك، حتى أصل الأصول وقعد القواعد، وأذعن له الموافق والمخالف، واشتهر أمره و علا ذكره، و ارتفع قدره، حتى صار منه ما صار " 156

154 عمر بن عبد العزيز معالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة للصلاحي ص331 .

155 الذي انتهت إليه رئاسة العلم في مكة .

156 الرسالة للشافعي (المقدمة/7)

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

و بهذا شهد له أهل العصر الحديث ، فالأستاذ أحمد شاعر¹⁵⁷ يقول عنه : " إن هذا الرجل لم يظهر مثله في علماء الإسلام في فقه الكتاب والسنة ، ونفوذ النظر فيهما، ودقة الاستنباط، مع قوة العارضة ونور البصيرة، والإبداع في إقامة الحجة، وإفحام مُناظره . فصيح اللسان ناصع البيان، في الذروة العليا من البلاغة، تأدب بأدب البادية وأخذ العلوم والمعارف عن أهل الحضرة حتى سما عن كل عالم قبله وبعده . نبغ في الحجاز، وكان إلى علمائه مرجع الرواية والسنة، وكانوا أساطين العلم في فقه القرآن، ولم يكن الكثير منهم أهل لسنٍ وجدل وكانوا يعجزون عن مناظرة أهل الرأي، فجاء هذا الشاب يناظر وينافح ويعرف كيف يقوم بحجته، وكيف يلزم أهل الرأي وجوب اتباع السنة، وكيف يثبت لهم الحجة في خبر الواحد وكيف يفصل للناس طرق فهم الكتاب على ما عرف من بيان العرب وفصاحتهم، وكيف يدلهم على الناسخ والمنسوخ من الكتاب والسنة، وعلى الجمع بين ما ظاهره التعارض فيهما، أو في أحدهما. حتى سماه أهل مكة " ناصر الحديث " وتواترت أخباره إلى علماء الإسلام في عصره، فكانوا يفدون إلى مكة للحج يناظرونه ويأخذون عنه في حياة شيوخه " 158

و كما كان في تلقي الفقه ، كان في تلقي الحديث¹⁵⁹ ، يقول الدهلوي : " إن الأوائل كان يجتمع عند كل واحد منهم أحاديث بلده وآثاره ، ولا تجتمع أحاديث البلاد، فإذا تعارضت عليه الأدلة في أحاديث بلده حكم في ذلك التعارض بنوع من الفراسة بحسب ما تيسر له، ثم اجتمعت في عصر الشافعي أحاديث البلاد جميعها فوقع التعارض في أحاديث البلاد ومختارات فقهاء مرتين : مرة فيما بين أحاديث بلد وآخر، ومرة في أحاديث بلد واحد فيما بينها ، واقتصر كل رجل بشيخه فيما رأى من الفراسة ، فانتسج الخرق وكثر الشغب، وهجم على الناس - من كل جانب - من الاختلافات ما لم يكن بحساب، فبقوا متحيرين

157 محقق الرسالة .

158 الرسالة للإمام الشافعي ، المقدمة ص5 ، 6 .

159 ما يعني تلقيه أصول الفقه .

د. عجميه السيد محمد براهيم

مدهوشين، لا يستطيعون سبيلاً، حتى جاء تأييد من ربهم، فألهم الشافعي قواعد جمع هذه المختلفات، وفتح لمن بعده باباً، وأبي باب" 160

و الدهلوي يقصد بهذا أهم مآثر الشافعي ، باب أصول الفقه الذي فتحه بكتابه الرسالة الذي يعد الشافعي أول من دون فيه ، فأرشد الناس بذلك إلى الجمع بين الأصول و النظر في هذه الأصول بالاجتهاد ، و قد أقام الشافعي في كتابه بياناً بأصول العلم ، و مؤداها قوله : " الأصلُ فُرْانٌ أَوْ سُنَّةٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ، فَمَيْاسٌ عَلَيْنَهُمَا . وَإِذَا اتَّصَلَ الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَحَّ الْإِسْنَادُ بِهِ، فَهُوَ سُنَّةٌ، وَالْإِجْمَاعُ: أَكْبَرُ مِنَ الْحَبْرِ الْمُتَّفَرِّدِ " 161 ، و هو بهذا رد الناس في عصره ، و كذا عموم الناس من بعدهم " إلى السنة بعد أن اختلط الأمر على كثير من العلماء، وتمايزوا إلى طبقتين متنافرتين متباعديتين على ما في كل منهما من الحاجة إلى الأخرى، وهم أصحاب الحديث، وأهل الفقه والنظر " 162 و هو بهذا - أيضاً - قد امتاز عن غيره من العلماء في " أنه هو الذي أصل أصول مذهبه، وكتب الكتب التي تعتبر متناً لفقهه " 163

أما من حيث التطبيق ، فقد مر فقه الشافعي بطورين أو مرحلتين ، هما : " أقوال الشافعي رحمه الله تعالى قبل قدومه لمصر ، وهي المعروفة بـ"مذهب الشافعي القديم"، وأقواله بعد قدومه مصر ، وهي المعروفة بـ"مذهب الشافعي الجديد " فقد صح " أن الشافعي رحمه الله أملى في مصر كتباً تخالف في كثير منها ما كان أملاه بالعراق ، وسبب ذلك أنه رحمه الله تجدد له من العلم بالنصوص ووجوه دلالاتها ما لم يكن عنده من قبل، وضبط من الأصول والقواعد ، ولاقى من العلماء ممن استفاد منهم ما حمله على تغيير قوله في كثير من المسائل ، ولذا لما سئل تلميذه الإمام أحمد رحمه الله : ما ترى في كتب الشافعي التي عند العراقيين أحب إليك أم التي عند المصريين؟ قال: عليك

160 الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف للدهلوي ، ص 83 ، 84 .

161 آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم الرازي ، (ص: 177)

162 مجلة البيان ، العدد 4 ص 10 .

163 مجلة البيان (10 / 4)

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

بالكتب التي وضعها بمصر، فإنه وضع هذه الكتب بالعراق ولم يحكمها ، ثم رجع إلى مصر فأحكم ذلك " 164

وهذا دليل على الإنصاف و الموضوعية التي اتسم بها الإمام الشافعي ، فقد تجرد تجرداً من الأهواء ، فلم يتعصب لقوله الأول و رجع إلى الحق عندما ظهر له الصواب في غيره . و لهذا يعتبر المذهب الشافعي " أكثر المذاهب أصولياً و متكلماً ، وأوفرها مفسراً للقرآن و شارحاً للحديث ، وأشدها إسناداً ورواية، وأقواها ضبطاً لنصوص الإمام ، وأشدها تميزاً بين أقوال الإمام ووجوه الأصحاب، وأكثرها اعتناءً بترجيح بعض الأقوال و الوجوه على بعض ، وكل ذلك لا يخفى على من مارس المذاهب و اشتغل بها " 165

ثالثاً : الأستاذ الإمام محمد عبده .

عاش الأستاذ الإمام محمد عبده في الفترة ما بين " 1849 – 1905 / 1266- 1323 " و كانت فترة ماجت بالأحداث في تاريخ الأمة الإسلامية عانت فيها من الغزو العسكري و الغزو الفكري من قبل الغرب ، كما أصيبت فيها بتردي الأوضاع على كافة الجوانب السياسية و الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية ، فقد ضعفت دولة الخلافة حتى أصبحت كالرجل المريض المشرف على الموت ، و بالإضافة لذلك عانت الأمة من الاحتلال و التدخل الأجنبي في كل شئون شعوبها ، و منها مصر التي عاش فيها الإمام محمد عبده .

رفضت الدولة العثمانية ، دولة الخلافة ، التعرب ، فظلت بعيدة عن شعوبها ، فانقسمت . كما غاب الاجتهاد في الإسلام في جوانب شتى ، فظهرت من الفرق الفكرية ، السلبية التي وطأت الأمر للتأخر و التخلف الديني و الفكري ، و للاحتلال أيضاً ؛ ليغرس فكره

164 موقع إسلام ويب ، الفتوى رقم 190939 ، سبب تغيير الشافعي لمسائل في مذهبه عندما انتقل إلى مصر ، 4 من محرم

1434 هـ / 17 من نوفمبر 2012 م .

165 الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف للدهلوي ، ص 85 .

الغربي في البيئة العربية و الإسلامية ، فأنبئت غراس ازدهار الإسلام و هضم حقه و دوره في الحياة 166

و أما واقع الأمة الاقتصادي ، فخير عليه انتشار الفقر و احتكار الثروات ، فكان الوالي على أي قطر يتولى لفترة محدودة ثم يعزل ، فكان يجعل من فترة ولايته فرصة لجمع ثروة من المال تكفيه مدى الحياة فتعرضت أموال الناس للنهب و افتقد الأمن بين الناس .

أما عن الواقع الخارجي عن الأمة ، فخير عليه التقدم العلمي ، فظهر عند الغرب الحركات العلمية و الفلسفات و اكتشاف القارات ، و دينياً سيطر على العالم الأوروبي رفض الدين ممثلاً في الكنيسة لتعصبها ضد رجال العلم و قتلهم ، مما أدى إلى الثورة على الكنيسة و فصل الدين عن الدولة ، كما سيطر على الواقع الخارجي ، المؤامرات الخارجية ضد الأمة ، و على رأسها القوى الصليبية و الدسائس الصهيونية ، حيث حاولوا استدراج السلطان عبد الحميد الثاني ؛ للتنازل لليهود عن القدس و لكنه أبى ذلك ، مما دفعهم إلى إسقاط دولة الخلافة عام 1924 ، و الفوز بوعده لليهود بفلسطين ، و الاستيلاء على الأمة كلها بالاحتلال الأوروبي لها و تقطيع أجزاء هذه الدولة ، و توزيعها على المحتلين من دول أوروبا . و على أثر ما سبق انقسمت الأمة إلى ثلاث طوائف :

الأولى : دعت إلى احتذاء النموذج الأوروبي في الحضارة ؛ لتتقدم الأمة الإسلامية كما تقدمت أوروبا . الثانية : دعت إلى تجنب هذا النموذج تجنباً تاماً ، و الانغلاق على النموذج الإسلامي الموجود آنذاك بالرغم مما يعتوره من تشوه يعده عن المنبع الصافي من قرآن و سنة .

الثالثة : رأت أن التوفيق و الإصلاح هو السبيل الأمثل ؛ للتعامل مع تلك التحديات ، و إن اختلفت في مدى توفيقها و إصلاحها .

166 كما نجد عند أدعياء التنوير و العلمانيين في تلك الفترة .

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

جاء الأستاذ الإمام وسط هذا كله ، فكان من الطائفة الثالثة ؛ إذ أدرك منذ شبابه ضرورة الاتجاه للإصلاح في المجالات جميعاً ، و هذه الركيزة الأولى في فكر التجديد عند الأستاذ الإمام . أما الركيزة الثانية فتتمثل في الإسلام ؛ إذ رأى الإسلام الوسيلة الأولى التي يقوم عليها الإصلاح ، فعلينا تجديد دنيانا به .

و الركيزة الثالثة أنه لم يكن وحده في مجال الإصلاح ، بل كان جزءاً من كل ، على رأسهم جمال الدين الأفغاني الذي تتلمذ الإمام عليه ، و كذا تلاميذ الإمام نفسه الذين أكملوا ما بدأه ، و على رأسهم السيد محمد رشيد رضا ، و الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر . و عليه فالتجديد لدى الأستاذ الإمام جزئي في بعض الجوانب دون بعض ؛ نظراً لأنه كان يعمل في ظل ظروف استثنائية من احتلال و ملكية و نفي تعرض له¹⁶⁷ الخ .

و عمل الإمام في جانب التجديد جاء على مستويين : نظري و عملي .

أ- المستوى النظري .

ظهر في حرصه على إصلاح المؤسسات التربوية و التعليمية ؛ إذ استعان به الخديوي عباس حلمي الثاني في إصلاح " المؤسسات التعليمية و التربوية و الاجتماعية الثلاث : الأزهر و الأوقاف و المحاكم الشرعية ، و عندما تشكل مجلس إدارة الأزهر برئاسة الشيخ حسونة النواوي ، دخل فيه الأستاذ الإمام و الشيخ عبد الكريم سلمان ممثلين للحكومة " ¹⁶⁸

و تركيز الإمام على هذه المؤسسات يعني أنه ركز على الأسس التي تؤثر في المجتمع و أفرادها ؛ لتحقيق ما يرنو إليه من التجديد ، فالأزهر حامل لواء الدين من قدم ، و القضاء

¹⁶⁷ نفي إلى بيروت سنة 1882 ؛ لمشاركته في الثورة العربية .

¹⁶⁸ الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده ، تحقيق و تقديم : د. محمد عمارة ، ج1 ص35 .

لسان الحق بين الناس ، والأوقاف بما لها من دور في ترتيب شئون المساجد و أئمتها ؛ و أثر ذلك في تحسين دورهم في الدعوة و التجديد .

كما اهتم في جانب كبير من تجديده برد الشبهات التي ينشرها المستشرقون و أتباعهم حول الإسلام من حيث هو دين للعلم و المدتية و الحضارة . و من أهم جوانب التجديد عند الأستاذ الإمام تركيزه على مسألة الجامعة الإسلامية بين المسلمين بما تدعو إليه من " السلفية العقلانية المستنيرة " 169

ب- المستوى العملي .

تولى الأستاذ الإمام عدة مناصب ، ساعدته على تحقيق أهدافه من التجديد قدر ما استطاع، فقد تولى التدريس في بيروت بعد فترة من نفيه إليها ، فبرزت هناك " جهوده التربوية و أعماله الثقافية و الفكرية ، فكتب لائحة إصلاح التعليم العثماني ، و لائحة إصلاح القطر السوري ، و شرع في كتابة لائحة إصلاح التربية في مصر ... كما اشتغل بالتدريس في المدرسة السلطانية ببيروت سنة 1886 ، فانتقل بها من مدرسة شبه ابتدائية إلى مدرسة شبه عالية " 170 . كان الإمام يعتقد أن التربية " هي العصا السحرية التي تغير كل شيء ، و تبدل كل سلبي ، فتجعله إيجابياً ، و تعدل كل منقوص فتجعله كاملاً ، و تطلق كل مقيد فتجعله متحرراً " 171 ، و لهذا ، فإنه بعد عودته إلى مصر أراد العمل بالتدريس ، لاسيما في مدرسة دار العلوم ، و لكن الخديوي توفيق رفض ذلك ؛ " حتى لا يتيح له فرصة تربية الأجيال الجديدة على أساس من آرائه و أفكاره " 172 ، و على الرغم من ذلك وصل أثره للعديد ممن تتلمذ عليه ، و أقاموا مدرستهم في العصر الحديث للتجديد في المجالات التي تحتاج إليه بالعودة إلى ينبوع الدين الأصلي الصافي من قرآن و سنة .

169 تيارات الفكر الإسلامي ، د. محمد عمارة ، ص 287 .

170 الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين ، ص 34 ، 39 .

171 الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده ، د. محمد عمارة ، ج 1 ص 151 .

172 الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين ، ص 40 ، 41 .

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

و من المناصب التي تولاها ، ففجع بها ، القضاء و الفتيا ، فقد " عينه الخديوي توفيق قاضيًا بمحكمة بنها ثم انتقل إلى محكمة الزقازيق ، ثم محكمة عابدين ، ثم ارتقى إلى منصب مستشار في محكمة الاستئناف سنة 1891م " 173

و المناصب السابقة رسمياً من قبل الدولة ، و قد تولى - أيضاً - مناصب غير رسمية ، و كان أكثر حريةً فيها في بيان رأيه و عرض فكره التجديدي ، من أشهرها منصبه في جريدة العروة الوثقى التي أصدرها و أستاذه من باريس ، فكان منصبه فيها المحرر الأول ، أي رئيس التحرير ، صدر منها في عام واحد 174 ثمانية عشر عددًا ، هذا بالإضافة إلى ما كتبه في مجلات أخرى ، مثل مجلة ثمرات الفنون ببيروت ، و مجلة الأهرام بالإسكندرية .

و معلوم أثر الكتابة في المجلات و الجرائد آنذاك ؛ فكانت من أهم وسائل الإعلام وقتها .

و كان من أهم المجالات التي كتب فيها ، تفسير القرآن الكريم الذي جعل منه سبيلاً للإصلاح الاجتماعي و التجديد الديني ، هو و من سار على نهجه ، حتى نشأت مدرسة في التفسير في العصر الحديث ، نسبت إلى منهجهم ، فأطلق عليها ، مدرسة التفسير الإصلاحية ، أو مدرسة التفسير العقلي الاجتماعي ، ذلك أن الإمام و من تبعه " وهم يواجهون يقظة العالم الإسلامي الذي انبهرت طائفة منه بمعالم الحضارة الغربية اتجهوا كخيرهم من المصلحين إلى تلمس السبيل الأمثل لإصلاح المجتمع الإسلامي وُفوق أحكام الشريعة الإسلامية ... فلا عجب أن يكون القرآن الكريم هو النبراس في دياجير الظلام ؛ فقد وصفه منزله -عز شأنه- بقوله : **{كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}** والتاريخ شاهد للقرآن بهذا؛ فليتأمل المتأمل في تاريخ المسلمين، وينظر إلى تلك الروح التي سرت في جسد الأمة الإسلامية في القرن الأول ما إن أشرقت أول شعاعة لهذا القرآن الكريم من غار حراء إلا والقلوب

173 المرجع السابق ، ص 41 .

174 عام 1884م .

د. عجميه السيد محمد براهيم

تأوي إليه والأفئدة تهفو إليه ، وإذا بالفرد قد أصبح جماعة ، وإذا بالجماعة قد أصبحت أمة ، وإذا بالأمة قد أصبحت أمماً " 175 . و قد بدأ الأستاذ الإمام رحلته في التفسير في المسجد العمري ببيروت ، ووهبه الله البراعة فيه ؛ إذ " اجتذب درسه الحركة الفكرية و الثقافية هناك حتى إن المستنيرين من المسيحيين كانوا يجتمعون على المسجد لسماعه ، و لما حالت ضوضاء الشارع دون سماعهم له ، طلبوا منه السماح لهم بدخول المسجد لمتابعة حديثه ، فسمح لهم بالوقوف داخل المسجد إلى جوار الباب " 176

و أكمل الإمام دوره في التفسير القرآني دروساً في الجامع الأزهر من عام 1899م ، و لمدة ست سنوات 177 ، " و بلغ في التفسير من أول القرآن حتى الآية 125 من سورة النساء ، و كان الشيخ رشيد رضا يدون ملخصاً في الدرس لهذا التفسير ، و بعد عامٍ من بدئه ، أخذت تنشره مجلة المنار ، و استمر ينشر فيها شهرياً حتى عددها الخامس من سنتها الخامسة عشرة " 178

و لأن تفسيره - رحمه الله - كان دروساً في المساجد ، فكان حقاً سبيلاً لإصلاح الجانب الأخلاقي عند المسلمين ، عالج فيه تهذيب أخلاقهم ؛ لاستعادة ما فقدوه من مكارم الأخلاق التي دها إليها القرآن و السنة . كما أشار فيه إلى علمٍ من أهم العلوم التي استنبطها من القرآن ، إنه علم السنن الربانية و الإلهية . يقول عنه الأستاذ الإمام : " إنَّ إِرْشَادَ اللَّهِ إِيَّانَا إِلَى أَنْ لَهُ فِي خَلْقِهِ سُنَنًا يُوجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَجْعَلَ هَذِهِ السُّنَنَ عِلْمًا مِنَ الْعُلُومِ الْمُدَوَّنَةِ لِنَسْتَدِيمَ مَا فِيهَا مِنَ الْهَدَايَةِ وَالْمَوْعِظَةِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ ، فَيَجِبُ عَلَى الْأُمَّةِ فِي مَجْمُوعِهَا أَنْ يَكُونَ فِيهَا قَوْمٌ يُبَيِّنُونَ لَهَا سُنَنَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ كَمَا فَعَلُوا فِي غَيْرِ هَذَا الْعِلْمِ مِنْ

175 اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، أ.د. فهد الرومي (2/ 776)

176 الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين ، د. محمد عمارة ، ص 39 .

177 أي حتى وفاته .

178 المرجع السابق ، ص 45 .

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

الْعُلُومُ وَالْفُنُونُ الَّتِي أُرْسِدَ لِيَّهَا الْقُرْآنُ بِالْإِجْمَالِ ... وَلَكَ أَنْ تُسَمِّيَهُ عِلْمَ السُّنَنِ الْإِلَهِيَّةِ أَوْ عِلْمَ الْاجْتِمَاعِ أَوْ عِلْمَ السِّيَاسَةِ الدِّيْنِيَّةِ " 179

و من أهم الجوانب العملية الأخرى التي عمل فيها الأستاذ الإمام مجال المناظرة مع المستشرقين و أتباعهم ، و قد أبلى في هذا الجانب بلاءً حسناً ، و يكفي أن نذكر في ذلك مناظراته العلمية مع مسيو هانوتو¹⁸⁰ الذي قارن فيه بين أصول دين الإسلام ، و أصول الدين المسيحي مقارنة تفضيل للثاني على الأول بما أن المسيحية دين الغرب المتقدم ، و الإسلام دين الشرق المتأخر ، فرد الإمام عليه بمقالات علمية واضحة ، أوضح فيها كيف حملت المدنية من بلاد الإسلام إلى بلاد الغرب في العصور الوسطى ، كما بيّن أن ذلك نبع من أصول يقوم عليها الدين الإسلامي ، و هي مستنبطة من معجزة القرآن ، و هي : " الأصل الأول: النظر العقلي لتحصيل الإيمان ... فالنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح .

الأصل الثاني : تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض .

الأصل الثالث : البعد عن التكفير .

الأصل الرابع : الاعتبار بسنن الله في الخلق .

الأصل الخامس : قلب السلطة الدينية ، هدم الإسلام تلك السلطة و مجا أثرها حتى لم يبق لها عند الجمهور من أهله اسم و لا رسم ، لم يدع الإسلام لأحدٍ بعد الله و رسوله سلطاناً على عقيدة أحد و لا سيطرة على إيمانه " 181

و قد كان الحديث عن هذه الأصول تمهيداً للحديث عن آثارها على المسلمين ، فقد اشتغل المسلمون " بالعلوم الأدبية ثم العقلية ، كما اشتغلوا بالعلوم الكونية في أوائل القرن الثاني، وأنشأوا دور الكتب العامة و الخاصة ، و أنشأوا المدارس للعلوم " 182 ، فالإسلام

179 تفسير المنار (114/4 ، 115)

180 كان وزيراً لخارجية فرنسا .

181 الإسلام بين العلم و المدنية ، للإمام محمد عبده ، بتصرف ، ص76 – 78 .

182 الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده ، د. محمد عمارة ، بتصرف و اختصار ، ج3 ص320 – 324 .

د. عجميه السيد محمد براهيم

بذلك نموذج أعلى لدين العلم و المدنية والحضارة التي انتقلت بدورها إلى أوروبا في مظان عدة مثل المراكز الإسلامية في الأندلس وصقلية ، و غيرها .
و كان ممن رد عليهم الإمام أيضًا فرح أنطون¹⁸³ الذي اتهم الإسلام باضطهاد العلماء في مجلة الجامعة لأنه يقوم على الحكم الديني .
و قد أقام أنطون وجهة نظره على أصولٍ أو مبرراتٍ خمسة في مقابلة الأصول الخمسة التي أوردها الأستاذ الإمام . و أهم مبرراته الخمسة ، هي :
* المساواة بين أبناء الأمة مساواةً مطلقة¹⁸⁴ ، و تطبيقًا على الدولة الدينية التي يدعيها عند المسلمين ، فقد ذكر في مجلة الجامعة أن المسلمين " قد تسامحوا لأهل النظر منهم ، و لم يسامحوا لمثلهم من أرباب الأديان الأخرى " ¹⁸⁵ ، و هذا مما رده عليه الأستاذ الإمام بقول مستشرق آخر ، هو المستر دراير ، يقول : " إن المسلمين الأولين في زمن الخلفاء ، لم يقتصروا في معاملة أهل العلم من النصارى النسطوريين ، و من اليهود على مجرد الاحترام ، بل فوضوا إليهم كثيرًا من الأعمال الجسام ، و رقوهم إلى المناصب في الدولة حتى إن هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت رقابة حنا بن ماسويه ... " ¹⁸⁶

و قد تجاهل فرح أنطون – في سبيل إثبات وجهة نظره – ما ثبت في التاريخ من المساواة بين المسلمين و غيرهم من أهل الكتاب ؛ حتى إن الجزية التي كانت مفروضةً على أهل الكتاب ، إنما كانت تقابل الزكاة – عند المسلمين – و أن الخلفاء كان يسقطونها عن كاهل غير القادر منهم ، كما تسقط الزكاة عن المسلم الفقير . و أكثر من ذلك ورد أن معاوية بن أبي سفيان أسقط الجزية عن قبط مصر جميعًا ؛ لأنهم أخوال إبراهيم بن رسول الله ﷺ ؛ إذ إن مارية القبطية هي أمه . و قراءة التاريخ تبين لنا – إلى جانب ذلك - أن كثيرًا من علماء أهل الكتاب و حكمائهم قد حظوا عن خلفاء المسلمين ، إذ اتخذ

183 أحد دعاة العلمانية في لبنان ، عاصر الأستاذ الإمام ، و كانت بينهما سجلات علمية حول الإسلام و النصرانية .

184 دفاعًا عن التنوير ، جابر عصفور ، ص58 ، 59

185 الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده ، د. محمد عمارة ، ج3 ص266

186 المرجع السابق ص269 .

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

الخليفة هذا أو ذاك طبيبه الخاص من غير المسلمين . و من أمثلتهم الطبيب جيورجيس بن بختيشوع الجنديسابوري طبيب المنصور و ممن " ارتفع شأنه عند الرشيد من الفلاسفة ، بختيشوع الطبيب و جبريل ولده و يوحنا بن ماسويه النصراني السرياني و لاه الرشيد ترجمة الكتب القديمة ... و كان يعقد في داره مجلساً للدرس و المناظرة ، و لم يكن يجتمع في بيتٍ للمذاكرة في العلوم من كل نوعٍ و الآداب من كل فن ، مثل ما يجتمع في بيت يوحنا بن ماسويه " 187

* يرى أنطون أن طبيعة المسيحية الفصل بين السلطتين الدينية و الدنيوية ، و قد رد عليه ببيان أصول المسيحية كما جاءت في الأنجيل المعروفة ، و على ألسنة أئمتهم ، و هي :
"الخوارق التي يعتمد عليها الدين المسيحي للمسيحية .

سلطة الرؤساء على المرءوسين في عقائدهم و ما تكنه ضمائرهم .

ترك الدنيا و الانقطاع إلى الآخرة .

الإيمان بغير المعقول .

أن الكتب المقدسة حاوية كل ما يحتاج إليه البشر في المعاش و المعاد " 188

و الحق أن أمثال هذه المناظرات ، كانت من الأهمية بمكان كبيرٍ ؛ لأنها شكلت بداية الوعي التاريخي بالذات لدى الأمة أمام الآخر الديني و عي النظير أمام نظيره ، لا و عي الضعيف بالقوي أو الصغير بالكبير ، و عليها نشأ جيل من العلماء أكملوا ما قام به الإمام في هذا الجانب و غيره ، و ظل الأمر يتطور فيها من مقالٍ في الجريدة و المجلة إلى ما نراه الآن من قنوات و مواقع على الشبكة الدولية للرد على خصوم الإسلام و أعدائه .

و أخيراً ، فإنه ليس أدل على دور الإمام في التجديد من كلمته و روحه الباقية في تلاميذه الذين أثروا مجال التجديد ، كالشيخ المراغي ، و السيد رشيد رضا ، و غيرهما ممن تتلمذ عليهما كذلك ، ذلك أنه باقٍ بآثاره و كتبه و مؤلفاته .

187 المرجع السابق ، ص 272

188 المرجع السابق ، بتصرفٍ ص 277 - 281 .

الخاتمة

أنهيت تلك الدراسة المتواضعة عن الدين الإسلامي بين التجديد و التغيير ، و يمكن الإشارة في نهايتها إلى مجموعة من النتائج ، هي :

- 1- التجديد ضرورة و واجب بنص السنة .
- 2- المجددون رجال أفاض سبقوا عصورهم بدرجاتٍ متفاوتة في مجالٍ معين أو أكثر ، فألهمهم الله ما لم يصل إليه غيرهم من أسرار الدين .
- 3- التجديد ضرورة لمواجهة البدع و الاختلاف الذي تنبأ به رسول الله ﷺ .
- 4- التجديد ظاهرة مستمرة في الدين كعلامة من علامات صلاحيته للزمان كله من جانب ، و الرد على محاولات التغيير في دين الله المستمرة بدورها – أيضاً –
- 5- قد يتعدد المجددون على رأس القرن؛ فيكونون في مجالاتٍ متعددة يعالجون بها السلبيات الموجودة في مجتمعاتهم .
- 6- لابد أن ينضبط التجديد بضوابطه العلمية و العملية ؛ ليكون تجديدًا حقيقيًا للدين و ليس تغييرًا أو تقديداً للدين .
- 7- لابد أن نميز بين فكر التجديد الإسلامي ، و فكر التغيير الحادث الذي يضر و لا ينفع .
- 8- أشار بعض العلماء إلى إمكانية وجود المجدد في منتصف القرن، و ليس على رأسه ، مما يعني أن التجديد حلقة متصلة من الاجتهاد ، تبرز و تتبلور على رأس كل قرنٍ هجري .
- 9- يتفاوت عدد المجددين في كل عصر ، فيزيدون في وقتٍ و يقلون في وقتٍ ؛ لأن وجودهم يتأثر بالأحوال السائدة في المجتمع .
- 10- البعض يدخل على المجددين من ليس منهم ، و لعل أثر هذا يظهر بشكلٍ جديد في العصر الحديث في صورة تشويه الدين و محاولة تغييره .

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

11-لابد أن تكون للتجديد جهاته المختصة ؛ لنحمي الدين من محاولات التشويه و

التغيير التي لم تتوقف في يومٍ عنه .

12-التجديد المؤسسي من أنواع التجديد التي عرض لها العلماء ، و يعتبر من

فروض الوقت ؛ إذ تقوم عليه مؤسسات إسلامية موثوقة كالأزهر الشريف الذي

يظهر في جهوده تجديد الدين كما ينبغي ، و يدفع عن الإسلام محاولات التشويه و

التغيير .

المصادر و المراجع

أولاً : القرآن و علومه .

- 1- البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: 685هـ) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط1 سنة 1418 هـ
- ابن الجوزي : جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي (ت 597 هـ) : زاد المسير في علم التفسير ، ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، سنة 1404 هـ .
- 2- الرازي : فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي (ت 604 هـ) : التفسير الكبير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط أولى ، سنة 1421 هـ .
- الزمخشري : جار الله أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد (ت 538 هـ) : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط1 سنة 1415 هـ / 1995 م .
- 3- السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي (ت 911 هـ) : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، ، دار الفكر ، بيروت ، سنة 1993 م .
- 4- الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري (ت 310 هـ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار الفكر ، بيروت ، سنة 1405 هـ .
- 5- ابن عطية : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي(ت : 542هـ) : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط 1 سنة 1422 هـ.

ثانياً : كتب السنة و علومها .

- 1- البخاري : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت 256 هـ) : الجامع الصحيح ، تحقيق : د : مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير اليمامة ، بيروت ، ط الثالثة سنة 1407 هـ / 1987 م .

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

- البيهقي : أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت 458 هـ) : السنن الكبرى ،
تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الباز مكة المكرمة ، ط سنة 1414 هـ /
1994م.
- 2- ابن حجر : أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (ت 852 هـ) :
فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة بيروت ، ط سنة 1379 هـ .
- 3- ابن حنبل : الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت 241 هـ) : مسند الإمام
أحمد، مؤسسة قرطبة القاهرة .
- أبو داود : سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني
(ت 275 هـ) : سنن أبي داود ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة
العصرية صيدا - بيروت .
- 4- أبو داود : سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (ت 204 هـ) : مسند أبي
داود ، تحقيق : د. محمد بن عبد المحسن التركي ، دار هجر - مصر ط 1، 1419
هـ - 1999 م .
- 5- الطبراني : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (ت
360 هـ) : المعجم الأوسط ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن
إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين - القاهرة .
- المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية القاهرة ،
ط2.
- 6- العظيم آبادي : محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر أبو عبد الرحمن شرف الحق
الصدريقي (ت 1329 هـ) : عون المعبود شرح سنن أبي داود ومعه حاشية ابن القيم :
تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط 2 سنة
1415 هـ .
- المنأوي : زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين
الحدادي القاهري (ت 1031 هـ) : فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة
التجارية الكبرى مصر، ط 1 سنة 1356 هـ .

10- الهيتمي : أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت 807هـ) : مجمع الزوائد و منبع الفوائد تحقيق : حسام الدين القدسي ، مكتبة القدسي القاهرة ، ط سنة 1414هـ - 1994م.

ثالثاً : كتب الفقه .

- 1- الإسنوي : أبو محمد جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن بن علي الشافعي (ت 772هـ) : نهاية السؤل شرح منهاج الوصول ، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان ، ط أولى 1420هـ- 1999م .
- 2- الأمدي : أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي (ت 631هـ) : الإحكام في أصول الأحكام ، تحقيق : عبد الرزاق عفيفي ، المكتب الإسلامي بيروت-دمشق.
- 3- جمعة : د. علي" أستاذ أصول الفقه جامعة الأزهر و مفتي الجمهورية " : آليات الاجتهاد ، دار الرسالة القاهرة ، ط الأولى سنة 1425هـ - 2004م .
- 4- الجويني : عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد ، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (ت 478هـ) : البرهان في أصول الفقه ، تحقيق : صلاح بن محمد بن عويضة ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط1 سنة 1418 هـ - 1997 م
- 5- الدهلوي : أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور المعروف بالشاه ولي الله (ت 1176هـ) : الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، دار النفائس بيروت ، ط2 سنة 1404هـ .
- 6- الرازي : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت 606هـ) : المحصول ، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني ، مؤسسة الرسالة ، ط 3 سنة 1418 هـ - 1997 م .
- 7- الشافعي : أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت 204هـ) : الرسالة ، تحقيق : أحمد شاکر ، مكتبة الحلبي مصر ، ط1 سنة 1358هـ/1940م .

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

- 8- الفاري : علي بن (سلطان) محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي : مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، دار الفكر، بيروت ، ط1 سنة 1422هـ - 2002م .
- 9- الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري(ت 450) : الحاوي الكبير في فقه الإمام للشافعي ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، ط أولى ، 1419 هـ - 1999 م .

رابعاً : المعاجم و كتب اللغة .

- 1- الأزهري : محمد بن أحمد الهروي أبو منصور (ت 370هـ) : تهذيب اللغة ، تحقيق : محمد عوض مرعب دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط أولى 2001م .
- 2- الزبيدي : محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الواسطي الحنفي نزيل مصر المعزية " ت 1205هـ" : تاج العروس من جواهر القاموس ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .
- 3- ابن سيده : أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت 458 هـ) : المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط 1 سنة 1421هـ - 2000م .
- 4- قلنجي ، قنبيبي : محمد رواس ، حامد صادق : معجم لغة الفقهاء ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ط 2 سنة 1408 هـ - 1988م .
- 5- ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري (630 _ 711هـ) : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط أولى .

خامساً : كتب التاريخ و التراجم .

- 1- الرازي : أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي ابن أبي حاتم (ت 327هـ) : آداب الشافعي ومناقبه ، كتب كلمة عنه: محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، قدم له وحقق أصله وعلق عليه: عبد الغني عبد الخالق ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط1 سنة 1424 هـ - 2003 م .
- 2- ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن : سيرة عمر بن عبد العزيز ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، دار ابن خلدون الإسكندرية ، ط1 سنة 1417هـ / 1996م .

د. عجميه السيد محمد براهيم

- 3- الذهبي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز (ت 748هـ) : سير أعلام النبلاء دار الحديث القاهرة ، ط 1427هـ-2006م .
 - 4- الصلابي : د. علي محمد محمد : عمر بن عبد العزيز معالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة ، دار التوزيع والنشر الإسلامية مصر ، ط 1 سنة 1427 هـ - 2006 م .
 - 5- الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي (ت 310هـ) تاريخ الرسل والملوك و صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي"ت 369هـ" دار التراث بيروت ، ط 2 سنة 1387 هـ .
 - 6- ابن عبد الحكم : عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع، أبو محمد المصري (ت 214هـ) سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه ، تحقيق : أحمد عبيد ، عالم الكتب - بيروت ، ط 6 1404هـ - 1984م .
- سادساً : كتب الثقافة و الفكر .**
- 1-أركون : محمد : الفكر الإسلامي قراءة علمية ، ترجمة : هاشم صالح ، المركز الثقافي العربي ، و مركز الإنماء القومي ط2 سنة 1996م .
 - 2-إقبال : محمد " المفكر الإسلامي و الشاعر " : تجديد التفكير الديني في الإسلام ، ترجمة : عباس محمود ، راجع مقدمته و الفصل الأول منه : المرحوم عبد العزيز المراغي ، راجع بقية الكتاب : د مهدي علام ، دار الهداية للطباعة و النشر و التوزيع ، ط الثانية سنة 1421هـ - 2000م .
 - 3-أمامة : د. عدنان محمد : التجديد في الفكر الإسلامي ، دار ابن الجوزي للنشر و التوزيع ، المملكة العربية السعودية ، ط 1 سنة 1424هـ .
 - 4-الأمين : عبد العزيز مختار إبراهيم : مجالات التجديد في الدين عرض و تقويم ، مكتبة الرشد ، ط 1 سنة 1432هـ / 2011م .
 - 5-الجابري : د. محمد عابد : العرب والعولمة ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1998م.

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

- 6-جدعان : د.فهمي : أسس التقدم عند مفكري الإسلام ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، عمان الأردن ، ط3 سنة 1988 م .
- 7-الخراشي : د. سليمان بن صالح : العولمة ، دار بلنسية ، ط سنة 1419 هـ .
- 8-الخولي : الشيخ أمين : المجددون في الإسلام ، دار المعرفة القاهرة ، ط 1 سنة 1965 .
- 9-دار الندوة العالمية : الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب و الأحزاب المعاصرة : تهذيب و مراجعة : مانع بن حماد الجهني ، الرياض ، ط4 سنة 1420 هـ .
- 10-الرياح : محمد بن يندر : العلمانية ، هيئة الدعوة و الإرشاد بالقصيم ، ط سنة 2011/ 1432 .
- 11-الرقب : د. صالح : بين عالمية الإسلام و العولمة ، مؤتمر التربية الأول بعنوان " التربية في فلسطين و متغيرات العصر "
- 12-السباعي : مصطفى : الاستشراق و المستشرقون مالهم و ما عليهم ، دار الوراق المكتب الإسلامي ، ط سنة 2018 .
- 13-سعيد : بسطامي محمد : مفهوم تجديد الدين ، مركز التأصيل للدراسات و البحوث ، المملكة العربية السعودية ، ط3 سنة 1436 هـ / 2015 م .
- 14-شبار : د. سعيد : الاجتهاد و التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ط 1 سنة 1437 هـ - 2016 م .
- 15-الصيد : أ.د. عبد العاطي أحمد : الإرهاب و العولمة مجموعة بحوث " بحث الإرهاب بين الأسباب و النتائج في عصر العولمة ، تساؤلات تبحث عن نتائج " ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية الرياض ، ط سنة 1423 هـ - 2003 م .
- 16-العبدولي : د.تهامي : أزمة المعرفة الدينية ، دار البلد سوريا ، ط2 سنة 1426 هـ - 2005 .
- 17-عبده : محمد " الأستاذ الإمام .
- الإسلام بين العلم و المدنية ، دار الهدى للثقافة و النشر ، ط سنة 2002 م .
- 18-عثمان : د. محمد فتحي : الفكر الإسلامي والتطور ، الكويت ، ط 2 ، 1996 م .
- 19-ابن عربي : ترجمان الأشواق ، دار المعرفة بيروت ، ط 1 سنة 2005 م .

- 20-العشي : أ.د عبد الله : ثقافة العولمة بوصفها خطابًا متطرفًا ، موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات .
- 21- عصفور : جابر .
- دفاعًا عن التنوير ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سبتمبر 1993 م .
- 22-العلايلي : عبد الله : أين الخطأ ، ط بيروت سنة 1978 .
- 23-عمارة : د. محمد :
- الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده ، تحقيق و تقديم : د. محمد عمارة دار الشروق ، ط 1 سنة 1414 / 1993 .
- معالم المنهج الإسلامي ، دار الشروق ، ط 2 - 2009 .
- الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين ، دار الشروق ، ط 2 ، سنة 1408 هـ / 1988
- 24-كُرَيْم : سامح : موسوعة أعلام المجددين في الإسلام ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، ط أولى.
- 25-المسيري : عبد الوهاب : العلمانية الجزئية و العلمانية الشاملة ، دار الشروق - القاهرة .
- 26-أبو الهنود : أنس بن محمد جمال بن حسن : التجديد بين الإسلام و العصرانيين الجدد " ورسالة ماجستير " الجامعة الإسلامية بغزة ، سنة 1434 هـ / 2013 م .
- 27-وجيه : عبد السلام :
- المؤلفات التراثية في فقه البيئة و الكون و الإنسان ، ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان "الفقه الحضاري - فقه العمران " ربيع الثاني 1431 هـ - إبريل 2010 م .
- سابعًا : المواقع الإلكترونية .
- 1-شبكة الألوكة ، مقال متعلق " الانهزامية و خطرهما على الأمة " بقلم : مجدي داود ، 15 / 12 / 2008 - 16 / 12 / 1429 هـ .
- 2-مجلة البيان ، مفهوم تجديد الدين ، بسطامي محمد سعيد ، الموسوعة الإلكترونية الشاملة .
- 3-مجلة الفرقان الكويتية (عدد 99) تحقيق عن العولمة .
- 4-مجلة اليمامة (العدد 1507) ، تحقيق عن العولمة .
- 5-موقع الإسلام سؤال و جواب ، 2019/5/15 .

دعوة التجديد بين الضرورة و حرمة التغيير تطبيقاً على صور التجديد قديماً و حديثاً

6-موقع إسلام ويب ، المركز الإعلامي ، دراسات في الدعوة ، 19 / 5 / 2019 – 14 / رمضان / 1440 هـ .

7-موقع إسلام ويب ، الفتوى رقم 190939 ، سبب تغيير الشافعي لمسائل في مذهبه عندما انتقل إلى مصر ، 4 من محرم 1434هـ / 17 من نوفمبر 2012م .

8-موقع الكتاب المقدس ، إنجيل متى .

موقع " ويكيبيديا الموسوعة الحرة " الإلكتروني